



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 _ سكيكدة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



قسم العلوم الإنسانية:

الصراع المذهبي في الدولة الفاطمية

في بلاد المغرب الإسلامي

296_ 358 هـ / 909 _ 969 م

مذكرة مقدمة مكملة لنيل شهادة الماستر تحت عنوان : تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إشراف: أ.د. / براني عبد النبيل

إعداد : زين العابدين فارح

لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة
د. قويسم	أستاذ محاضر أ	رئيسا
د. عبد النبيل براني	أستاذ محاضر أ	مشرفا و مقرا
د. بن تيشة	أستاذ محاضر أ	مناقشا

الموسم الجامعي : 2024_2025

شكر و عرفان

نحمد الله عز وجل أن وفقني لإتمام هذا البحث .

ثم أتوجه بالشكر للأستاذ المشرف الدكتور براني عبد النبيل الذي قدم لي يد المساعدة بنصائحه

وتوجيهاته القيمة التي كانت كالنور الذي أضاء لي الطريق لانجاز هذا العمل المتواضع.

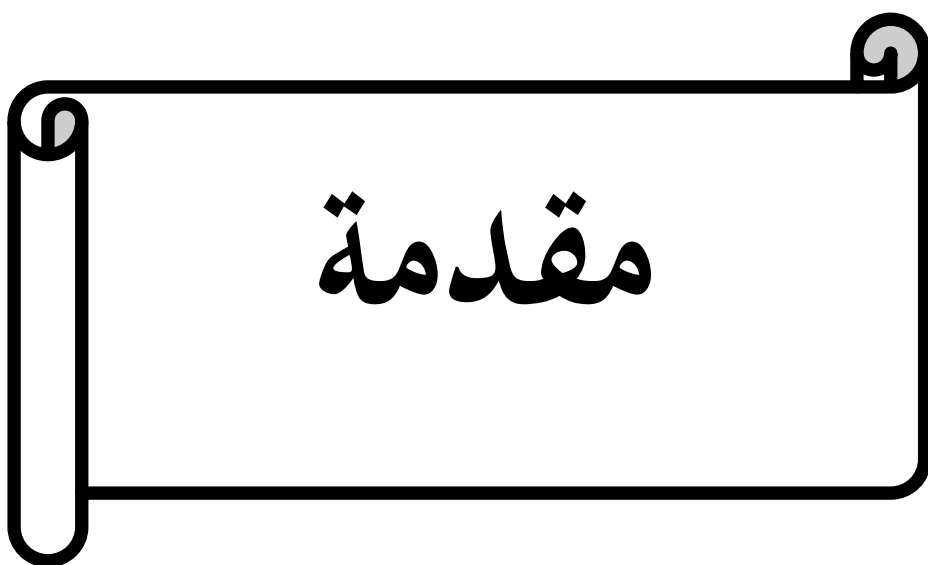
الهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من جعل الله رضاه في رضاها

والذي الكريمين، متعهما الله بالصحة والعافية

إلى عائلتي الصغيرة

إلى كل من كان معي في هذا العمل.



المقدمة:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي كغيرها من البلاد و البقاع الإسلامية، مختلف المذاهب العقائدية و السياسية، حيث بدأت طلائعها بالظهور في المنطقة، منذ مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وتفرق دعاة مختلف الفرق و الطوائف الإسلامية، خلال هذه الفترة لنشر أفكارهم و معتقداتهم، وساعدت البيئة المغربية على انتشار وتغلغل أفكار بعض هذه الفرق، لبعدها بلاد المغرب الإسلامي عن مراكز حكم الخلافة الإسلامية، و حواضرها، وعن أعين و أعوان السلطة، والتي كانت متمركزة على الغالب في المشرق الإسلامي، و قد ساهم أيضا في إنتشار معتقدات بعض الفرق، الطبيعة التضاريسية لبلاد المغرب الإسلامي، وما تحتويه من جبال و مرتفعات، تساعد على الإحتماء بها، إضافة إلى طبيعة سكان المغرب الذين عرفوا بكثرة التقلبات و عدم الخضوع .

شكلت هذه المعطيات أرضا خصبة لبعض الفرق و الجماعات الإسلامية، فإستطاعت التأسيس لبعض الكيانات السياسية بالمنطقة، مثل الشيعة، بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بدأت المنطقة تعرف تحول كبير بدخول المذهب الشيعي متمثلا في الدولة الفاطمية ، والوصول بنفوذه إلى أقصى الغرب الإسلامي و كان ذلك، على حساب أهل السنة و الجماعة، وتفرق دعاة هذا المذهب خلال هذه الفترة لنشر أفكارهم.

ساهمت أيضا المعطيات السابق ذكرها في ظهور صراع سياسي و حتى عسكري و كذلك فقهي مذهبي كون أصل الخلاف بين جل هذه الكيانات فقهي عقائدي و في خلال هذه المرحلة برز العديد من فقهاء المالكية الذين حاولوا الدفاع عن عقيدتهم رغم ماتعرضوا له من تهيب و تعذيب و وقفوا سدا منيعا أمام المشروع العبيدي و المد الشيعي الرامي إلى سلخ المنطقة عن إنتمائها الإسلامي السني, رافضين بذلك التواجد العبيدي المتمثل في الخلافة الفاطمية و دخلوا في صراع معها خلال تواجدها في المغرب الإسلامي الذي دام ستون عاما، و هي تعد أول دولة شيعية إسماعيلية ساد حكمها في الفترة الممتدة من 296 _ 358 هـ / 909 _ 969 م, هذا الصراع المذهبي بين المالكية و الإسماعيلية هو موضوع مذكرتنا.

أهمية هذا الموضوع :

اخترنا هذا الموضوع بالذات للأهمية الكبرى للمواضيع من هذا النوع خاصة تاريخيا و ما يلفه من غموض في العديد من الجوانب و نظرا لأهميته التاريخية والعلمية و لضرورة دراستنا لتاريخ بلاد الغرب الإسلامي و تسليط الضوء على التضحيات التي قدمها أهالي الغرب الإسلامي، خاصة فقهاء المالكية من أجل الدفاع عن الهوية المالكة السنية و تثبيتها، و كذا التعرف على ما كابدوه من أجل الدفاع عن شريعة الله في أرضه و سنة رسوله الكريم "ص" و الدفاع عن صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، أمام الشيعة الإسماعيلية.

الهدف من هذا الموضوع :

- التأكيد على أن أصول المد الإسلامي في بلادنا أصول سنية لا شيعية.

- الإهتمام بمعرفة عقيدة أهل السنة و الجماعة.

- كشف معتقدات الإسماعيليين و مدى تناقضها مع الدين السليم.

- أخذ العبرة بمعرفة أحوال الدول.

__ تعريف ببعض الشخصيات و القادة العلماء في بلاد المغرب الإسلامي.

أسباب إختيار الموضوع :

تتنوع أسباب دراسة الصراع العبيدي المالكي في بلاد الغرب الإسلامي بين أسباب ذاتية و موضوعية

أهمها دراسة مختلف التغيرات التي مرت بها بلاد الغرب الإسلامي، من الناحيتين السياسية و المذهبية و

محاولتنا إلقاء ضوء ولو خفيف على مختلف التغيرات التي عرفتھا منطقة الغرب الإسلامي في ظل الدولة

الفاطمية، و دور مختلف الكيانات سواء كانت مذهبية أو عرقية قبلية في تشكيل القوى السياسية

بالمنطقة و تغيراتها .

و من أسبابنا الذاتية البحث و الإطلاع و الإستزادة في كل ما نجهله عن تاريخ منطقتنا و محاولتنا فهم

بعض الحقائق العلمية و الدينية من خلال تسليط الضوء على حقيقة الصراع بين الشيعة و السنة و

خاصة أن هذا الصراع لا يزال مستمرا إلى الآن و ما كان له من أثر على الأمة الإسلامية و هذه الدراسة

عززت لدينا الفخر و الإعتراز بعلماء الأمة الإسلامية المغاربة على وجه التحديد و مدى رسوخهم في الدين، و ردهم على الشبهات التي يحاول البعض زرعها، من أجل فصل الارتباط الديني و الحضاري لبلاد الغرب الإسلامي، بمختلف الأقطار الإسلامية الأخرى .

طرح الإشكالية :

الوجود الإسماعيلي العبيدي بالغرب الإسلامي لم يكن صريحا في بدايته، وقد إستغل حب أهل المنطقة لآل البيت، مستجدينا عواطفهم لما تعرضوا له من محن و نكبات، مكنت من حشد بعض المغرر بهم و حتى بعض الغيورين التي غلبت عليهم عواطفهم، فكان نتاج ذلك التأسيس للكيان الشيعي للمنطقة، الذي كان يهدف إلى السيطرة على كل بلاد المسلمين و ليس المغرب فحسب.

صمدت المالكية في وجه المد الإسماعيلي بالمنطقة و تكاثفت جهودهم من أجل صد إنتشار المذهب الشيعي مقدمين في ذلك تضحيات جلية، و تجلت المقاومة السنية للمذهب الإسماعيلي و رفضهم للدولة الفاطمية و مذهبها.

وتتضح الإشكالية العامة لمذكرتنا من خلال الطرح التالي :

ماهية مظاهر الصراع المذهبي المالكي الإسماعيلي في المغرب الإسلامي؟.

ومن الأسئلة الفرعية و الاستفهامات الجزئية التي إقتضتها هذه الإشكالية من أجل معالجة هذا الصراع

هي :

- متى ظهر كل من المذهب الإسماعيلي و المذهب المالكي في الغرب الإسلامي؟.
 - كيف كانت سياسة الدولة العبيدية إتجاه المذهب المالكي و ماهي المراحل التي مرت بها الدولة العبيدية الشيعية في المنطقة و ماهي الخطوط العامة لسياستها إتجاه المذاهب المخالفة لها خاصة المذهب المالكي؟.
 - ومن منطلق الرفض السني المالكي للمذهب الشيعي نتساءل عن مدى الإختلاف بين أصول المذهبين و التي أدت إلى ظهور الصراع بينهما.
 - كيف كانت ردت فعل المالكية و ما مختلف ردود الأفعال لفقهاء المالكية، و ماهي الأساليب التي إنتهجوها من أجل الدفاع عن مذهبهم بالمنطقة.
 - و أخيرا ماهي أهم النتائج المترتبة عن الصراع المذهبي في بلاد الغرب الإسلامي.
- وللإجابة عن هذه التساؤلات إستخدمنا المنهج التاريخي من خلال تتبع الصراع المذهبي بين المالكية و الإسماعيلية على المستوى الفكري و العسكري، ومن خلال إبراز الفقه المالكي فيه و مختلف الآراء حول ذلك و قد إرتأينا تقسيم عناصر المذكرة إلى مقدمة عامة للموضوع لتعريف بمختلف العناصر التي تطرقنا إليها، ثم ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول : في المذهب الاسماعيلي والمذهب المالكي و يتضمن ثلاث مباحث وهي:

المبحث الأول: التعريف بالمذهب الإسماعيلي و المذهب المالكي.

المبحث الثاني: مراحل تطور المذهب الاسماعيلي و المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الثالث : الأصول الفقهية للمذهب الاسماعيلي و المذهب المالكي.

الفصل الثاني: قيام الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي و يتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول : التعريف بالدولة العبيدية و نسبها.

المبحث الثاني : مراحل قيام الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الثالث : سياسة أئمة الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي.

الفصل الثالث : الصراع بين المذهب الاسماعيلي و المذهب المالكي و يتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول: أسباب الصراع.

المبحث الثاني : موقف فقهاء المالكية من التواجد العبيدي في بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الثالث : أساليب مقاومة المالكية للاسماعيليين.

المبحث الرابع: نتائج الصراع بين المذهبين.

منهج الدراسة:

إعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي ، و ذلك من أجل مختلف المراحل التي مررنا بها في دراستنا و

نقل مختلف الأحداث و الصراعات التي دارت بين المالكية و الإسماعيلية بالغرب الإسلامي، محاولين

الوصول إلى الحقيقة التاريخية كما إعتمدت منهج المقارنة خاصة في محاولة إبراز الاختلافات بين المذهب المالكي و المذهب الإسماعيلي و الفروق بينهما خاصة في الأصول الفقهية .

المصادر و المراجع المعتمدة:

لقد إعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر و المراجع التي كان لها صلة بالموضوع و شملت:

وكذلك كتب الفرق و المذاهب منها مصادر بارزة ككتاب الملل و النحل للشهرستاني (ت584), الذي يعد موسوعة علمية في مقارنة الأديان و كذلك اتعاظ الحنفاء للمقريزي (ت429 هجرية), الذي تحدث بتفصيل عن أحداث فترة موضوع مذكرتنا.

كما إعتمدنا على كتب فقهية في التعريف بأصول المذهب المالكي منها منهاج السنة النبوية لإبن تيمية (ت728 هجرية) و كذلك كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر للعلامة عبد الرحمان إبن خلدون,(ت802 هجرية)، من خلال الجزئين الرابع و السادس خاصة فيما يخص دراسة القبائل و الشخصيات البربرية.

ومن كتب التراجم و السير إعتمدنا على كتاب المدارك و المسالك للقاضي عياض (ت544 هجرية)، الذي ترجم للعديد من الفقهاء و ما عايشوه من مضايقات السلطة العبيدية , ومن كتب التراجم العامة كتاب سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (ت748 هجرية).

الصعوبات:

واجهتنا الكثير من المشاكل نذكر منها صعوبة فهم بعض المصادر و مصطلحاتها و كذلك صعوبة ضبط و تحديث بعض المفاهيم خاصة أن الموضوع يحتوي على جانب فقهي عقائدي و الخوض في هذا المجال يقتضي دراية بالجانب الديني و الفقهي و كذلك صعوبة فهم و تحديد معتقدات الإسماعيلية وكذلك صعوبات تتعلق بتشعب الموضوع و تنوعه بين ماهو تاريخي و ماهو ديني و صعوبة حصر المعلومة الخاصة بالموضوع دون الخروج عن المطلوب و تحقيق الموضوعية فيه.

شكر موجه للأستاذ المشرف الذي ساعدنا على تذليل الكثير من هذه الصعوبات .

الفصل الأول: في المذهب الإسماعيلي والمذهب المالكي.

المبحث الأول : التعريف بالمذهب الإسماعيلي و المذهب المالكي.

المبحث الثاني: مراحل تطور المذهب الإسماعيلي و المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي.

-المبحث الثالث: الأصول الفكرية للمذهب الإسماعيلي و المذهب المالكي.

تمهيد:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي بداية من مطلع القرن الثاني الهجري، تواجد الكثير من التيارات الفكرية والمذهبية وظهر فيها دعاة من مختلف الفرق والطوائف الإسلامية يدعون إلى نشر أفكارهم ومعتقداتهم. ورغم أن غالبية أهل المغرب كانوا على مذهب أهل السنة وخاصة المذهب المالكي إلا أن معطيات جديدة مكنت من ظهور مذاهب أخرى منها المذهب الإسماعيلي فما هي خصوصية كل مذهب؟

المبحث الأول: التعريف بالمذهب الإسماعيلي والمذهب المالكي.

أولاً: المذهب الإسماعيلي.

1- مفهوم المذهب:

في اللغة، المذهب من الأصل مفعول من الذهاب ويقال المذهب للمكان وقال القيومي: ذهب مذهب فلان، قصد قصده وطريقته، وذهب في الدين مذهبا: رأى فيه رأيا¹. وقال ابن منظور² المذهب: المتوضأ لأنه يذهب إليه وفي الحديث عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال " نحت مع النبي في سفر، فأتى النبي حاجته فأبعد في المذهب " وقال الكسائي: يقال لموضع الغائط، الخلاء والمذهب والمرفق والمرحاض والمذهب: المعتقد الذي يذهب إليه وذهب فلان لذهبه أي لمذهبه الذي يذهب إليه، ويقال ذهب فلان مذهبا حسنا والمذهب في الأصل مصدر ميمي، فالمذهب بمعنى المذهب إليه، لأن الأحكام مذهب إليها لا فيها ويطلق المذهب مرادا به المكان والزمان والحدث والمذهب موضع الذهاب وهو المرور وأصله الطريق ثم نقل منه إلى الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية التي هي طرائق المجتهدين، يمرون عليها بأقدام عقولهم الراسخة لتحصيل الظن بها.

- في اصطلاح الفقهاء: المذهب هو حقيقة عرفية فيما يذهب إليه أمام من الأئمة في الأحكام الاجتهادية.³

¹ - ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري، (ت 711 هـ) ، لسان العرب، الطبعة 3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ، مج 2، ص 181.

² - المصدر نفسه ، ص 394.

³ - شهاب الدين القرافي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي العلا ادريس القرني (ت 684هـ)، الاحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام ، تح أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، ص 62.

ويطلق المذهب عند علماء الفقه على المنهج الفقهي الذي سلكه فقيه مجتهد اختص به من بين الفقهاء، أدى به إلى اختيار جملة من الأحكام في مجال علم الفروع.¹

- وفي اصطلاح المتأخرين²: يطلق المذهب على ما به الفتوى من باب إطلاق الشيء على جزئه الأهم كالحج عرفة والمذهب هو ما قاله الإمام هو وأصحابه على طريقته ونسب إليه مذهباً ويرى الدكتور عمر الجيدي بأن هذا الاصطلاح لم يظهر إلا في القرن الرابع الهجري عند ما دعت الظروف إلى هذا النوع من الالتزام بمنهج معين في الفقه والتشريع، ولم تكن المذاهب قد استقرت على رأس المائة الثالثة.

2- مفهوم الشيعة:

- في اللغة: شيع فلاناً، خرج معه يودعه وشيعه على رأيه تابعه وشيعه: جزاءه وشجعه وشيعه أرسله وأتبعه وقواه وتشيع الرجل: أدى دعوة الشيعة.

في الاصطلاح: الشيعة عند المتكلمين والفقهاء، هم أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم، وقسم العلماء فرق الشيعة إلى 3 أقسام: غلاة، امامية وزيدية ويتفرع عن قسم منها فرق.

3- الإسماعيلية:

هي الجماعة الشيعية³ الثانية بعد الاثناعشرية وأخذ المذهب الإسماعيلي اسمه من إسماعيل بن جعفر الصادق وهي من الفرق الباطنية⁴ وتتفق الإسماعيلية مع الشيعة الاثناعشرية في معتقد الإمامة والوصية

- مريم محمد صالح الظفيري ، مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز، دار ابن حزم ، بيروت، ص 208 .¹

- ابن منظور، المصدر السابق ، ص 177.²

³- الشيعة: طائفة من الناس شايعة وناصرة رجالاً واتخذته قائداً، ثم أصبح اسم فرقة إسلامية، انضم عدة فرق تتفق جميعها بأن علي رضي الله عنه هو الخليفة الشرعي، قال الجرجاني: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه وقالوا أنه الإمام"، الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 584هـ) ، الملل والنحل ، تح أحمد فهمي محمد ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1992، ج 1 ص169.

⁴- الباطنية: فرقة من فرق الشيعة تقول بالتأويل الباطني ، عكام محمود ، الموسوعة الإسلامية ، الميسرة ، دار صحارى ، دمشق ، ج 3، ص483.

وصفات الأئمة ولكنهم يختلفون مع السنة والشيعة في اعتقادهم بأن القرآن يحتمل تأويلاً باطنياً غير معناه الظاهري¹، ولهذا يطلق عليهم بالباطنية. وقد ولدت الإسماعيلية من رحم حركة التشيع الإسلامي عام 148 هـ - 765 م بعد وفاة جعفر الصادق الإمام السادس للشيعة لأن الشيعة الاثنا عشرية قالوا بإمامة موسى الكاظم بينما الإسماعيلية قالوا بإمامة إسماعيل ويذكر الدكتور سعد رستم في كتابه (الفرق والمذاهب) أن الإسماعيلية قد شهدت انشقاقات نتج عنها طوائف وجماعات عدة منها: القرامطة (يعودون إلى حمدان قرمط) والإسماعيلية المستعلية والبهرة التي انقسمت إلى ثلاث فرق هي الداودية والحشاشين في اليمن وغيرهم².

قال الشهرستاني: "الإسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنا عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بادئ الأمر"³، وقال عبد القادر البغدادي في شأن الإسماعيلية: "وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا أن الإمام بعده اسمه إسماعيل"⁴

وللإسماعيلية عدة ألقاب عرفوا بها منها: الباطنية وإنما أطلق عليهم هذا اللقب لقولهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلاً، ويطلق عليهم القرامطة والمزدكية وقد عرفوا بهذين الاسمين في بلاد العراق ويطلق عليهم في خراسان التعليمية والملحدة وهم لا يحبون أن يعرفوا بهذا الاسم وإنما يقولون نحن الإسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم⁵.

-الشهرستاني , المصدر السابق, ص 146.¹

²-الاثنا عشرية: من فرق الشيعة التي قالت بإمامة موسى الكاظم, الكليني محمد بن يعقوب (ت 329 هـ) , الكافي في الأصول و الفروع, منشورات دار الكتب الإسلامية, طهران - إيران 1338 هـ, ج 1, ص 260.

³- الشهرستاني ,المصدر السابق , ص 191.

⁴- البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد , (ت 429 هـ) , الفرق بين الفرق , دار الكتب العلمية , العراق, ص 91.

⁵-الشهرستاني, المصدر السابق, ص 12.

ومن نتائج الدعوة الإسماعيلية قامت لهم دولة واسعة ابتداء من عام 297 _ 567 هـ / 910_1100م, حيث قضى عليها صلاح الدين الأيوبي وكان عدد حكامها أربعة عشر أولهم المهدي عبيد الله وآخرهم العاضد، سميت بالدولة العبيدية أو الدولة الفاطمية.¹

اختلف العلماء في متى ظهر مذهب الباطنية، بعضهم قال سنة 205 هـ _ 827 م والبعض الآخر قال 250 هـ _ 814 م ونتيجة السرية المفروضة على أتباع هذا المذهب تعذر التحديد الدقيق لزمن ظهورهم.

4- فرق الإسماعيلية.

ظهرت فرق عديدة داخل فرقة الإسماعيلية و هذه الفرق هي:

-الإسماعيلية الخالصة: وهم الذين قالوا أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل وأنكروا موت إسماعيل في حياة أبيه وقالوا أن ذلك على جهة التلبيس لأنه خاف عليه فغيبه عنه وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض.²

-الإسماعيلية المباركية: وهم القائلون بعد جعفر ابن محمد ابن إسماعيل ابن جعفر وقالوا إن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر ابن محمد الأمر لمحمد ابن إسماعيل.³

- فرقة الدرروز: وهي فرقة من فرق الباطنية الإسماعيلية التي جاهرت في الغلو في شخصية الحاكم ورغم انشقاقها عن المذهب الإسماعيلي إلا أنها تعتبر جناحاً من أجنحتها.⁴

- محمد أبو زهرة, مالك حياته و عصره و آراؤه الفقهية , دار الفكر العربي , القاهرة , ص 60.¹

²- السلومي سليمان بن عبد الله , أصول الإسماعيلية , ط 1 , دار الفضيلة _ الرياض , ج 2, ص 352.

³- فرقة القرامطة : فرقة باطنية اشتقت عن الإسماعيلية سميت بالقرامطة نسبة إلى زعيمها حمدان قرمط , ابن خلدون عبد الرحمن, (ت 808 هـ) , العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر , , مج 4 , دار الفكر العربي , بيروت , لبنان, ص 144.

- محمد كامل حسين , طائفة الدرروز تاريخها و عقائدها , دار المعارف , مصر, 1968, ص 8.⁴

- فرقة الإسماعيلية المستعلية¹: يسمون بهذا الاسم نسبة إلى القول بإمامه المستعلي مع إنكار إمامة نزار بن المستنصر ويقولون انه نازع الحق أهله من حيث أن الحق في الإمامة والخلافة كان لإمامهم المستعلي ويرون من الضلال إتباع الحسن الصباح ومن أسماء هذه الفرقة فيما بعد الطيبة نسبة إلى الطيب بن آمر المزعوم

كما يطلق على هذه الفرقة الإسماعيلية الغربية وهؤلاء هم إسماعيلية مصر واليمن وبعض بلاد الشام تميزا لهم عن الإسماعيلية الشرقية نسبة إلى إسماعيلية الحسن الصباح².

ثانيا: المذهب المالكي.

1- تعريف المذهب المالكي.

المذهب المالكي هو ثاني المذاهب الفقهية السنية، نشأ بالمدينة المنورة على يد الإمام مالك بن أنس الصبحي كان ذلك أوائل القرن الثاني الهجري ثم انتشر في الحجاز والبصرة ومصر وبلاد إفريقيا والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى، دخل إلى المغرب الإسلامي على يد تلامذة الإمام مالك بن أنس منهم علي ابن زياد (183هـ _ 799 م)³، ويعد مذهباً وسطياً بين أهل الرأي وأهل الحديث.

وعرفه الدردير: "مذهب مالك عبارة عن ما ذهب إليه من الأحكام الاجتهادية التي بذل وسعه في تحصيلها."⁴

- المصدر نفسه , ص 46.¹

- المصدر نفسه , ص 62.²

³- ابن زياد التونسي العبسي هو أبو الحسن علي بن زياد ولد في طرابلس ثم انتقل إلى القيروان من أهم فقهاء المالكية، روى عن مالك الموطأ، الزركلي خير الدين , كتاب الأعلام , مج 4, ط (المطبعة العربية 1927) , لبنان , مصر, ص 289.

⁴- قول دردير: عبد اللطيف صالح الفرفور، تاريخ الفقه الإسلامي , دار الكلم الطيب , دمشق _ بيروت, 1995, ج 1 ص 108.

2- خصائصه:

يتميز المذهب المالكي عن غيره بوفرة مصادره وتنوع أصوله بين النقل والرأي المسند إلى الشرع , كما تميز أيضا بتوسعه في استثمار الأصول المتفق عليها كما أنه يعرف بقبوله أنواعا من الحديث كالحديث المرسل , كما يتميز أيضا برحابة الصدر في المسائل الفقهية و هو مذهب مرن له قابلية للتطور و التجديد و المرونة و السماحة في التسيير و هو أيضا يتميز عن غيره بمراعاة البعد المقصدي والاجتماعي والمصلحي و من خصائص المالكية , المنطقية والعقلانية والواقعية و سلامتها من البدع.¹

3- مؤسسه:

هو إمام دار الهجرة شيخ الإسلام، حجة الأمة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الأصبحي، والأصبحية قبيلة حميرية، المدني نسبة إلى المدينة المنورة ولد سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله (ص)² وكان لملك أربعة أبناء: يحيى، محمد، حماد، فاطمة³.

4- أهم مصنفات المذهب المالكي.

من أهم مصنفات المذهب المالكي , الموطأ للإمام مالك بن أنس 179 هـ_795 م , المدونة لسحنون بن سعيد المتوفي 240 هـ_854 م, الواضحة في السنن والفقه لعبد الملك بن حبيب السلمي

¹ - أحمد تيمور باشا , نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة , ط1, مكتبة الثقافة الدينية, بور سعيد , مصر , 2001, ص28_29.

² - الذهبي , أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ), سير أعلام النبلاء, تح شعيب, الأرناؤوط, ط3, دار الرسالة, بيروت 1417 هـ, ج 8 ص 48_49.

³ - اليعموري, إبراهيم ابن فرحون إبراهيم ابن علي بن محمد برهان الدين (ت 799 هـ) , الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, ت, محمد الأحمدى, دار التراث, القاهرة 1972 , ج 1, ص 88.

238 هـ _ 852 م, المستخرجة من الأسمعة (العتيبية) لأحمد العتيبي 255 هـ _ 868 م, الموازية لمحمد بن إبراهيم 269 هـ _ 882 م¹.

5-أهم شيوخه:

ربعة الرأي بن عبد الرحمن، أخذ عن مالك الفقه ويحيى بن سعيد ونافع وابن الزيادة وابن شهاب وابن هرمز الذين أخذوا عنه الحديث، ومن أهم تلامذة المذهب: عبد الرحمن بن قاسم، عبد الله بن وهب، أشهب بن عبد العزيز القبيسي، أسد بن الفرات وغيرهم².

6- أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي.

عرف المغرب الإسلامي في بداياته مختلف المذاهب السنية وأهل السنة والجماعة على العموم هم الذين يتبعون طريق الرسول وطريق أتباعه الكرام وقد سأل رجل مالك: من أهل السنة يا أبا عبد الله قال: الذين ليس لهم اسم يعرفون به لا جهمي ولا رافضي ولا قدرى³ وتراجعت بعض المذاهب وعرف المغرب الإسلامي مذهبين أساسيين هما: الحنفي والمالكي، غير أن هذا الأخير قد عرف انتشارا خاصة بعد النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ومن أوائل الذين ساهموا في نشر المذهب في إفريقيا والمغرب:

¹ - الذهبي , المصدر نفسه، ص 88.

² - عمر الجديدي , نظرات في تاريخ المذهب المالكي، ط 2 , أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط _ 1993، ص 17.

³ -القاضي عياض, أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت 544 هـ). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أصحاب الإمام مالك . ت : محمد تاوت الطنجي وآخرون ط 2، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب 1403 هـ، ج 1 ص 38.

ابن زياد التونسي العبسي (183 هـ - 799 م) الذي تتلمذ على يديه الكثير من الفقهاء من أمثال البهلول بن راشد، سحنون بن سعيد وغيرهما¹.

وساعدت عوامل كثيرة في انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ويمكن حصرها في عدة أسباب منها سياسية، فكرية، اجتماعية.

* أسباب سياسية:

الأسباب السياسية², الحرص على اجتماع الكلمة ووحدة المسلمين في المذهب المالكي ووحدة الأمة فكثرة الصراعات في المنطقة جعل أهلها يميلون إلى الوحدة والتماسك فحالة البلاد اقتضت وجود مذهب يجمع الناس كالمالكية و قد كان التدخل السياسي المباشر في فرض المذهب المالكي للدولة الأموية دورا في فرض هذا المذهب على عامة الناس وكذلك كان للأداسة³ دورا في انتشاره وترسيخ جذوره ويرجع انتشاره بطريقة غير مباشرة لدولة الأغالبة⁴ كما ترك الخوارج⁵ وأعمالهم في إفريقيا و المغرب الإسلامي أثرا كبيرا في انتشار المذهب السني خلال القرنين الثاني والثالث وخصوصا عند البربر إذ أدت الأعمال الوحشية للخوارج على سكان المنطقة إلى انتقامهم منهم وانتقامهم الشديد كان بالبحث عن مذهب أكثر اعتدالا وهو المذهب المالكي في هذا يرى المهستاني "إن لتجربة أهل إفريقيا دورا فعالا ولكن غير مباشر في التوجه المالكي خاصة في عهد المنصور بن بلقيت 373 - 386 هـ / 983_996م

¹ - موسى هيصام , التمكين للمذهب المالكي بالمغربين الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس هـ. ط1، مكتبة كنوز الحكمة، الجزائر 1434 هـ _ 2014م، ج 1 , ص 54 _ 55.

- علي جمعة محمد , المدخل الى دراسة المذاهب الفقهية , ط1، دار السلام , القاهرة , مصر , 2004, ص 141.

³ -الأداسة: أول دولة إسلامية في المغرب الإسلامي، أسسها ادريس بن عبد الله 788م - 974م، سعدون عباس نصر الله , دولة الأداسة في المغرب العصر الذهبي , دار النهضة العربية للطباعة و النشر , 1987م، ص 13-19.

⁴ -الأغالبة: دولة إسلامية في إفريقيا أسسها إبراهيم بن الأغلب 800م - 909م , ابن وردان أبو الحارث عيسى المدني (ت 160 هـ) , تاريخ مملكة الأغالبة , تح محمد زينهم محمد عرب , ط1، مكتبة مدبولي , القاهرة , 1988م، ص 22.

⁵ -الخوارج: هم طائفة من المسلمين الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب، كفروا كل من خالفهم الرأي، علي محمد محمد الصلابي، الخوارج نشأتهم و صفاتهم و عقائدهم و أفكارهم , دار المعرفة , بيروت , لبنان، ص 96.

حيث توطدت علاقة بن زيري مع أتباع المذهب المالكي وخاصة عندما أظهر الاستقلالية عن الفاطميين¹.

- يرجع البعض الآخر سبب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي إلى مناهضة فقهاء المالكية لفقهاء الأحناف إذ كانوا يأخذون عليهم تواطؤهم مع الأمراء الأغلبة الذين ناصروا المذهب الحنفي.

* أسباب فكرية:

دور الرحالة في انتشار المذهب: سعى المغاربة إلى أخذ أسس الشريعة وأصولها من منبعها في المدينة المنورة , كما كان لتلامذة الإمام مالك من أهل المغرب: وهو أهم سبب ويظهر دورهم في التأليف في مختلف نواحي ونشاطهم في الدعوة للمذهب ومن أهم تلاميذ مرحلة التأسيس أسد بن الفرات والبهلول بن أشرس , كما ساهمت معاملة الإمام مالك لتلاميذه المغاربة وتقربهم منه وذلك بحسن معاملتهم والتواصل الدائم معهم وهذا ما أدى إلى تمسكهم بآرائه ونشرهم لها.²

* أسباب اجتماعية:

تميز المذهب بملائمته للواقع الاجتماعي في المغرب التي تتوافق مع طبيعة الناس في المنطقة وأهم ما يتميز به المذهب، نقاؤه من البدع والأهواء، مراعاته للعرف فهو مذهب اجتماعي عملي وتميزه بكثرة الأصول. و كذلك العلاقة الحميمة بين أهل المغرب والمذهب المالكي فأهل المغرب يؤمنون بأن الدين هو القرآن والسنة ويحرصون على التمسك بهما و رفضهم الضلالات لهذا أخذوا بالمالكية ورفضوا المعتزلة والخوارج وانتقضوا الأحناف.³

¹ -ابن خلدون , المصدر السابق, ص 224.

² - أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي , (ت 453 هـ) , رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية, تح , بشير البكوش, دار الغرب الاسلامي , ج1, ص 10.

³ - المصدر نفسه, ص 145.

كما تميز المذهب المالكي بمراعاة العرف واعتماده على الواقع والأخذ أعراف الناس وعاداتهم فهو مذهب اجتماعي عملي وهذا يوافق الفطرة الاجتماعية لأهل المغرب التي تميزت ببساطتها ووضوحها دون تعقيد , تميز المذهب المالكي بكثرة الأصول التي اعتمد عليها في مختلف المسائل التي تطرح وهو يسمح للمفتي باختيار الأصلح والأكثر ملائمة للواقع ويبدو أن هذه الخاصية قد لاءمت المغاربة وتماست معهم¹ وفي هذا يقول الجيادي "أن مذهب مالك كان خلال هذه الفترة غصا ولم تدخل فيه الحضارة وتهذيبها" وهذا ما تداركه ابن خلدون في ختام تعليله لأسباب انتشار المذهب².

و قد ساهم ذلك ف انتشار المذهب المالكي³ في ثلاث قارات و تمذهب به الناس وإذا كان قد تقلص نفوذه في بعض الجهات من المشرق فقد ازداد انتشاره في الغرب الإسلامي ويرجع الباحثون هذا الانتشار إلى عدة أسباب و أهمها شخصية صاحب المذهب مالك بن أنس لما عرف عنه تمسكه بالسنة ومحاربة البدع وشأن عالم المدينة (مالك ابن أنس) الذي حملة بعض العلماء عليه وقوله "ص" , " يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة", فالإمام مالك عند العلماء فقيها ورعا وحجة وعالما وهذا ما حبيه إلى قلوب المغاربة.

و كذلك ملائمة المذهب المالكي لطبيعة المغاربة، لأنه مذهب عملي يأخذ بعادات الناس ويتماشى مع طبيعة الفطرة وهو خال من تداخل الآراء وهذا ما حبيب أهل المغرب فيه لأنهم يوقنون بأن الدين هو القرآن والسنة وحرصهم على التمسك بهما ورفضهم الضلالات لهذا أخذوا بالمالكية ورفضوا المعتزلة⁴ والخوارج وانتقدوا الأحناف⁵ وهذا الموقف كان سائدا بين المغاربة جميعا رؤساء ومرؤوسين وهذا الرأي

¹ - . عمر الجيادي، المصدر السابق , ص 37.

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 541 .

³ - القاضي عياض , المصدر السابق، ص 207.

⁴ - المعتزلة: هي فرقة كلامية ظهرت أواخر العصر الأموي، مؤسسها واصل ابن عطاء، تميزت بتقديم العقل على النقل وبالأصول الخمسة (التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) , عواد ابن عبد الله المعتق , المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها, مكتبة الرشد _ الرياض , ص 43.

غير عنه صراحة الأمير هشام بن عبد الرحمن الأندلسي الذي ألزم الناس بإتباع مذهب مالك وسير الفقهاء والفتوة عليهم بينما هناك منهم من يرد ذلك إلى موقف بعض السلاطين وفي هذا قال ابن حزم "مذهبان انتشرا بالرياسة والسلطان"¹, التشابه بين البيئة في كل من الحجاز والمغرب وهذا رأي العلامة ابن خلدون الذي يرى بأن البداوة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس وكانوا من أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة.

و يضيف ابن خلدون سبب آخر هو رحلة أما مذهب مالك رحمه الله تعالى فاحتفى بمذهبه أهل المغرب والأندلس , ومن الأسباب أيضا مناهضة المذهب المالكي لمذهب الخوارج الذي كان قد تسرب إلى أهل المغرب أوائل القرن الهجري.²

هذه بعض الأسباب التي ذكرها العلماء لانتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي ومهما كانت الأسباب فان المذهب قد ترسخت أقدامه في المغرب مع مرور الدهر بقوة رجاله العلمية وسيرتهم وأخلاقهم وكفاءتهم في مسيرة ركب المجتمع المتغير.

7- أهم فقهاء المذهب المالكي:

علي بن زياد 183_799 هـ / 799_1397م, عبد الله بن فروخ 186 هـ _ 802م , البهلول بن راشد 123_181 هـ / 740_797م , أسد بن الفرات, سحنون بن سعيد, محمد بن سحنون 202_256 هـ / 817_870م , بن أبي زياد القيرواني 311_386 هـ / 923_996م.³

⁵-الأحناف: من تمذهبوا على المذهب الحنفي وهو من المذاهب الفقهية الذي أسسه الفقيه أبي حنيفة النعمان (ت 150 هـ) , عماد الصباغ , الأحناف , دار الحصاد_ دمشق, 1998, ص 22.

¹- ابن حزم , أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري , (ت 994هـ), رسائل ابن حزم الأندلسي, تح , احسان عباس, المؤسسة العربية للدراسات و النشر , ج1, ص 102.

² - ابن خلدون , المصدر السابق , ص 542.

³ - محمد ابراهيم علي , اصطلاح المذهب عند المالكية, دار البحوث و الدراسات الاسلامية و احياء التراث , 2000, ص 34.

المبحث الثاني: مراحل تطور المذهب الإسماعيلي والمذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي.
أولاً: مراحل تطور المذهب الإسماعيلي.

1- مرحلة النشأة:

تتفق الإسماعيلية مع الشيعة الاثنا عشرية على صحة إمامة الأئمة الستة (من على بن ابن طلب إلى جعفر الصادق) ووقع خلاف بينها حول أي من أبناء جعفر الصادق أحق من أخيه بالإمامة وقد تبع الإسماعيلية إسماعيل ومن بعده ابنه محمد بن إسماعيل من منظمي هذه الفرقة الأوائل: أبو الخطاب¹ وميمون القداح² وعبد الله بن ميمون³ ولؤلؤاء دور كبير في تأسيس المذهب الإسماعيلي ويعدون البداية الأولى لنشأته. وكان أبو الخطاب على مذهب الشيعة عاصر محمد الباقر ومن بعده ابنه جعفر الصادق ولكنه لاحقاً تبني أبو الخطاب معتقدات الغلاة⁴، من أفكاره:

لا بد في كل عصر من رسولين، ناطق وصامت فكان محمد ناطق وعلي صامت، أن الإمام يتصور في أي صورة شاء و أن الله يحل في أبدان الرسل والأئمة ، أن الأرواح لا تموت وتنفى بل تتحول إلى ملائكة ، تحليل الشهوات ما حل منها وما حرم من زنا وسرقة وخمر وربما....، الأئمة يعلمون الغيب، الأئمة آلهة يلبي إليهم بالحج، في السماء إله هو الرب وفي الأرض إله وهو الإمام وإن لكل ظاهر باطنا.⁵

¹ - أبو الخطاب، محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع البراد، (ت 143 هـ) ، مؤسس الفرقة الخطابية، الذهبي ، ص 348.

² - ميمون القداح ، (ت 148 هـ) ، أبو محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله ، مؤسس الفكر الباطني، محسن الأمين، أعيان الشيعة ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت، 1983، ج 8، ص 86.

³ - عبد الله بن ميمون بن الأسود القداح، (ت 180 هـ - 496 م) ، من أقطاب الدعوة الإسماعيلية و أحد رواد الشيعة ، الذهبي ، المصدر السابق، ص 212.

⁴ - إحسان الهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ و عقائد ، إدارة ترجمان ، باكستان، 1405، ص 96.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 97.

بعد ما أظهر أبو الخطاب هذه المعتقدات طرده جعفر الصادق، ورغم ذلك قام بإعادة نشر أفكاره ولما مات أبو الخطاب تحولوا إلى محمد بن إسماعيل وولائهم له¹.

أما ميمون القداح فيعتقد أن أصله يهودي وادعى جد عائلة القداح أنه من أهل البيت ويقال أن عبد الله بن ميمون كان كفيلا على محمد بن إسماعيل وكان يدعو إلى الإمام من آل البيت وينتشر بالتشيع والعلم وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة والمكر والخديعة فثارت ضده الشيعة والمعتزلة ففر إلى البصرة.²

ومن خلال ما سبق نستنتج بأن الإسماعيلية هي امتداد الفرقة الخطابية وأن ميمون القداح وابنه عبد الله هم من قاموا بنشر هذا المذهب.

2- دور الستر³:

في هذه المرحلة استقر محمد ابن إسماعيل في الحجاز وأرسل دعائه إلى بقاع كثيرة لنشر أفكاره ومذهبه ولكن الخليفة هارون الرشيد سعى في مطاردته وهذا ما جعله يخرج من المدينة ويتستر في دعوته، وقد تنقل سرا من مكان إلى آخر وظل متخفيا حتى مماته سنة 193 هـ _ 808م خوفا من بطش بني العباس وكان المجاهر بدعوته والمتكلم باسمه هو ميمون قداح وابنه عبد الله واستغل هؤلاء الفرصة واغتصبوا الأمر، وقد مات عبد الله بن ميمون وترك ولدان هما الحسين ومحمد وقد بعث محمد هذا داعيين إلى المغرب وهما عبد الله الحسين بن أحمد ابن محمد وأخوه أبو العباس بن أحمد بن محمد إلى قبائل من البربر، وقد

¹ - محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، (ت 193 هـ) الملقب بالمكتوم ، الإمام السابع للشيعة ، الذهبي ، المصدر السابق ، ص 427.

² - نادر مرزوق مرضي العازمي ، الإسماعيلية، عن مجلة كلية دار العلوم، الكويت ، مج 36، العدد 126، المسلسل للعدد 126، سبتمبر 2019 ص 592_563.

³ - دور الستر ، مصطلح يشير عند الشيعة إلى فترات ستر الإمام و توكيله وكلاء خلال تاريخهم، الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الأردن ، ج 16، ص 379

طاردهم السلطان في عدة مناطق من المغرب ولما هلك الحسين خلفه ابنه سعيد الذي يسمى بعبيد الله¹ وصار صاحب الأمر وتكنى بأبي محمد وتلقب بالمهدي وصار إماما علويا من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.²

3- دور الظهور³:

وامتدت هذه المرحلة من حكم عبيد الله المهدي حتى سقوط الدولة الفاطمية (العبيدية).

وقام للدعوة الإسماعيلية دولة واسعة ابتداء من عام 297 _ 567 هـ / 910 _ 1773 م ، السنة التي قضى صلاح الدين الأيوبي عليهم .

من حكامها:

أتى بعد عبيد الله المهدي ابنه :

- القائم بأمر الله : هو أبو القاسم محمد بن المهدي عبد الله بويح بإمامة الإسماعيليين وحكم دولتهم عند موت أبيه سنة (322 هـ _ 934 م) أظهر سب الأنبياء وأباد العديد من العلماء.⁴

- المنصور: تولى حكم الدولة العبيدية بعد وفاة والده عام 334 هـ _ 945 م ويتصف بالشجاعة وفيه تدين وعقل أفضل ما أبيه الزنديق مقتصرًا على إظهار التشيع.⁵

¹ - عبيد الله المهدي , سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الثوي الأهوازي , (ت 322 هـ _ 934 م) , هو أول أئمة الظهور و أول خليفة عبيدي , الذهبي , المصدر السابق , ج 15 ص 211_212 .

² - مانع بن حماد الجهني , الموسوعة الميسرة في الأديان و الأحزاب المعاصرة , دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع , الرياض , ج 1 , ص 383.

³ - دور الظهور , الاعتقاد بظهور الإمام المهدي المنتظر , محمد صادق الصدر , تاريخ مابعد الظهور , دار التعارف للمطبوعات , بيروت , لبنان , 1412 هـ , ج 3 , ص 165.

⁴ - مصطفى غالب , أعلام الاسماعيلية , دار البيقطة العربية , بيروت , 1964 , ص 850_852.

⁵ - الذهبي , المصدر السابق , ج 5 , ص 157_158.

- المعز: يلقب بأبي تميم واسمه معد بن منصور بن إسماعيل بن القائم العبيدي المهداوي تولى الخلافة سنة 341 هـ 952م ، تمكن من ضم مصر إلى دولته ونقل عاصمتهم إليها عام 362 هـ 972م وكان مغاليا في باطنيته وإسماعيليته.¹
- العزيز: يكنى بأبي المنصور تولى الحكم سنة 365 هـ 975م تميز حكمه بتوظيف اليهود والنصارى في وظائف الدولة وتسليطهم على رقاب المسلمين وفي زمانه ظهر سب الصحابة جهرا.²
- الحاكم: وهو منصور بن نزار يكنى بأبي علي ويصفه الذهبي بقوله، بأنه كان شيطانا مريدا جبارا عنيدا كثير التلون سفاكا للدماء خبيث النجلة عظيم المكر وكان فرعون زمانه.³
- الظاهر بن الحاكم: يكنى بأبي الحسن وفي عهده كثر المجون وشرب الخمر وعمل على نفي فقهاء المالكية لنشر مذهبه الإسماعيلي.⁴
- المستنصر: وهو أبو تميم معد بن الظاهر علي بن الحاكم العبيدي حكم سنة 427 هـ 1032م وامتد حكمه ستين سنة وهو آخر حكام وأئمة الإسماعيلية في فترة الظهور.⁵

ثانيا: مراحل تطور المذهب المالكي.

مر المذهب المالكي منذ تأسيسه على يد الإمام مالك بمراحل مختلفة عكست جهود العلماء بمختلف طبقاتهم في خدمة المذهب ولعل أدق تصوير لمراحل التطور داخل المذهب المالكي ما ذهب إليه الشيخ

¹ - الداعي ادريس عماد الدين، (ت878هـ) ، عيون الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، تح مصطفى غالب ، ط

2، دار الأندلس ، بيروت ، 1984، ص 154.

² - الذهبي ، المصدر السابق ، ص 168.

³ - المصدر نفسه ، ص 174.

⁴ -المصدر نفسه ، ص 185.

⁵ - المصدر نفسه، ص 187.

بن عاشور والذي يرى أن منتصف القرن الثاني مرحلة النشأة وبعد القرن الرابع دور التفريع في آخر القرن السادس مرحلة الاستقرار التي تتميز بالترجيح والتمحيص¹ وهي كما يلي:

1- مرحلة النشأة (110 - 330 هـ / 710_941م):

بدأت هذه المرحلة مع عودة جماعة من طلبة الإمام مالك من المدينة إلى بلادهم في المغرب الإسلامي بعد ما قضوا فترة طويلة في طلب العلم على مجالس الإمام مالك بن أنس وكان ذلك بداية من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ومن أمثال هؤلاء علي بن زياد وأبو مسعود بن أشرس والبهلول بن راشد وعامر بن محمد، وقد تميزت هذه المرحلة بتبني مؤسس الدولة الإدريسية (إدريس بن عبد الله الحسن)² للمذهب المالكي وجعله مذهباً رسمياً للدولة³ وأرسى المذهب عن طريق جعل القضاء بيد علماء المالكية إذ عين الحاكم الإدريسي الإمام عامر بن محمد بن سعيد العبسي فقيه للمغرب وولى عبد الله بن غانم قضاء إفريقيا و بدخول موطأ مالك تعزز المذهب وانتشر أكثر حتى بعد موت الإمام مالك وعكف الجيل الثاني من العلماء على طلب العلم وعملت المساجد دوراً فعالاً خاصة جامع الزيتونة وجامع القرويين ونتج عن هذه الحركة الفكرية الكثير من المؤلفات بعد الموطأ⁴ منها (الأسدية) وأساسه القضايا التي دونها أسد بن الفرات⁵ وكذلك (المدونة)⁶ وغيرهم ،وقد تميزت هذه المرحلة أيضاً بجمع

¹ - الجزري، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الكريم الجزري ابن الأثير (ت 630 هـ) ، الكامل في التاريخ ، تح عمر عبد السلام ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ ، ج 10، ص 287.

² - مصطفى أحمد علي القضاء ، مدرسة المغرب الأقصى ومظاهر استمدادها من المدرسة الأولى، المكتبة الشاملة الذهبية، ج 1، ص 361.

³ - شرحبيلي محمد بن حسن ، تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 1421هـ - 2000م ، ص 44 .

⁴ - المصدر نفسه ، ص 276 .

⁵ - أبو الأجفان محمد بن الهادي، المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان ، بحوث الملتقى الأول القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، دار البحوث ، دبي ، 1422هـ ، ج 1، ص 230.

⁶ - عمر الجيدي، المصدر السابق ، ص 181_182.

الروايات من الإمام مالك وترتيبها وتدوينها في مصنفات كما ذكر وأهم الكتب: (الواضحة)، (العتيية)، (الموازية).

2- مرحلة التطور والتفريع (301 _ 600 هـ / 913_1204م):

ظهر في هذه المرحلة نوابغ علماء المالكية الذين فرعوا وطبقوا ثم رجحوا وشهروا وكان ذلك في مطلع القرن الرابع الهجري ورغم معاناة أهل المغرب وعلمائها من تأثيرات سياسية وضغوطات إلا أنهم واصلوا التجديد والإبداع¹ وقد ساهم في هذا التطور الرحلات العلمية لعلماء المغرب العربي لبلاد المشرق وتبادلهم المؤلفات والرسائل العلمية مع علماء المشرق وتميزت المؤلفات بالتهذيب والتنظيم والتنقيح والترتيب للمادة الفقهية فمثلا كتاب (التفريع) كان مختصرا إلا أنه من المختصرات الجامعة، قال ابن خلدون: " ولم يزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع فكتب أهل إفريقيا على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا"² وأهم مواضيع هذه المرحلة: علم الوثائق والشروط وهو يتعلق بالعقود بين الأشخاص وكذا الفتاوى والنوازل وهو علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين بعدهم.³

وقد تميزت هذه المرحلة بكثرة التأليف منها: ما ألفه الجلاب 376 هـ _ 987م ، التفريع، شرح المدونة، كتاب مسائل الخلاف وغيرهم...

¹ - عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، ط 1 ، المغرب ، 1993، ج 1، ص 84.

² - المصدر نفسه، ص 85.

³ - خطاب الرعيني أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن حسين ، (ت 954 هـ) ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، تح الشيخ زكريا عميرات ، مج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ص 24.

3- مرحلة الاستقرار (601 هـ _ 1205م):

وهي مرحلة الشروح والمختصرات والحواشي والتعليقات، تميزت باستخراج آراء المالكية وانصهارها في بوتقة واحدة فبدخول القرن السابع الهجري اندمجت المدرسة الأندلسية وعلمائها في المدرسة المغاربية وذلك نتيجة ضعف الدولة الإسلامية في الأندلس وهذا بعد هجرة علماء الأندلس إلى شمال إفريقيا.¹

المنهج في هذه المرحلة يتميز بالاختصار ومن أشهر المختصرات ما قام به رجل المختصرات الإمام ابن الحاجب².

وقد اهتم العلماء في هذه المرحلة بالفقه التطبيقي بفروعه والفتاوى والأحكام والتوثيق ومن أهم المؤلفات: الذخيرة في الفقه، الفروق، الأحكام في تميز الفتوى عن الأحكام لأحمد بن إدريس القرني وغيرهم.³

المبحث الثالث: الأصول الفكرية للمذهب الإسماعيلي.

أولاً: أصول المذهب الإسماعيلي.

1- عقيدة الإسماعيلية في الله:

يقول الشيخ إحسان ظهير رحمة الله " إن الإسماعيلية يعتقدون بأن الله لا يوصف بوصف ولا يسمى، مخالفين صريح القرآن والسنة. ..وجاعلين الإله آلهة متعددة.. ". قائلين بالواحد الممتنع وجوده , مجادلين القرآن الناطق بأسماء الله و صفاته و أحاديث الرسول "ص" المدعمة بالوحي.⁴

¹ - عمر الجيدي, المصدر السابق, ص 213.

² - ابن الحاجب , أبو عمرو عثمان بن عمر الكردي , (ت 646 هـ _ 1249 م) , الذهبي , المصدر السابق , ص 264.

³ - محمد إبراهيم علي, المصدر السابق , ص 34.

⁴ - إحسان الهي ظهير, المصدر السابق, ص 268.

2- عقيدتهم في النبوة :

اعتبروا النبوة رتبة يمكن لأي مدع الوصول إليها ولاسيما المستجيبين لفكرتهم ودعوتهم وقالوا بأن الناس متفاوتون في معارفهم وكلما زاد علم المرء أصبحت نفسه متهيئة لقبول الهام الملائكة.¹

3- عقيدتهم في اليوم الآخر:

يقول الغزالي: "وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة والحشر وعذاب القبر ونعيمه والجنة والنار ويقولون بالميعاد بأن الإنسان يستعمل عنصره الترابي إلى ما بجانبه من التراب وتصعد روحه إلى الملاء الأعلى فإذا كان مؤمنا بالإمام حشر في زمرة الصالحين وأصبح ملكا مدبرا كسائر العقول المدبرة لهذا الكون وإذا كان شريرا معاديا للإمام حشر مع الأبالسة والشياطين، والجنة والنار يكونان في الدنيا نعيم الجنة هي لذة معنوية وهي التعلم من الإمام.²

4- عقيدتهم في العبادات:

لا يقيمون الصلاة في مساجد المسلمين بل في مساجد داخل بيوتهم ويصلون الظهر والعصر بآذان واحد والمغرب والعشاء كذلك ولا يصلون الجمعة أما الزكاة فتدفع لمشايخهم وصيام رمضان على الحساب الفلكي وفي الحج يسبقون أو يتأخرون عن البقية ومن ركائز معتقداتهم، تقديس مشايخهم وسب الصحابة ومخالفة السنة والاعتقاد بالتناسخ.³

¹ - الغزالي، أبو حامد الطوسي (ت 505 هـ) ، فضائح الباطنية ، تح عبد الرحمن البدوي ، مؤسسة دار الكتاب _ مصر، ص 52.

² - محمد أحمد الخطيب ، الحركات الباطنية في العالم الاسلامي ، ط2، مكتبة الأقصى، 1404هـ ، ص 102.

³ - السجستاني، أبو يعقوب اسحاق بن أحمد السجستاني (ت 910 هـ) ، الينابيع ، تح مصطفى غالب ، ط 1 ، 1965 بيروت ، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر ، ص 135.

5- أركان الإسلام:

تعتبر أركان الإسلام في الإسماعيلية سبعة (الولاية، الصلاة، الصوم، الحج والزكاة، الطهارة والجهد) والإمام عندهم هو المفسر الذي يؤول المعنى الباطن للقرآن والشريعة واعتبرت تفسيراته هي المصدر الثالث للفقه بعد القرآن والسنة ولم يقبلوا الإجماع والقياس¹، والجهد والطهارة وأزالوا الشهادتان.

6- التقية :

لغة من مصدر تقي وهي الحيلة والحذر وفي معناها عند الشيعة الإسماعيلية هي القول بالشيء وإظهار غيره وعرفها علماءهم بالقول أن: "التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه وكتمان المخالفين وترك مظاهرهم بما يخلف ضررا في الدين أو الدنيا"² مبررين هذا الكتمان بأسباب أغلبها سياسية.

7- العلم الظاهر والتأويل الباطني:

وتسمى الإسماعيلية بالباطنية لقولهم بالظاهر والباطن وفي هذا قال الغزالي: "الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواتهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن، تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، أنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جليلة وهي عند العقلاء والأذكياء، رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وأن من تقاعد عقله عن الغوص والأسرار والبواطن والأغواء وقنع بظواهرها مسارعا إلى الاغترار كان تحت الأوامر والأغلال"³.

و من نماذج تأويل الإسماعيلية لبعض الآيات القرآنية، تأويلهم لكلام الله تعالى في قوله تعالى: " وأنهار من لبن"⁴، أي معادن الدين، (العلم الباطن) يرضع بها أهلها ويتغذى بها تغذيا تدوم به حياته اللطيفة، فان غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم كما أن حياة الوليد بارتضاع اللبن من ثدي

¹ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موقع شبكة صيد الفوائد الإسلامية.

² - الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، (ت 413 هـ) ، تصحيح اعتقادات الامامية ، تح حسين دركاهي ، ط2 ، منشورات الرضى ، إيران ، 1414هـ ، ص 137.

³ - الغزالي، المصدر السابق، ص 197.

⁴ - سورة محمد، آية 15.

الأم، "وأَنْهَار من الخمر" ¹ هو العلم النافع "وأَنْهَار من عسل مصفى" ²، هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة ³.

8- عقيدة الاحتساب:

في النياحة وشفق الجيوب وضرب الخدود على شهادة الحسين فهم يعقدون محافل ومجالس للمأتم والسياسة والمظاهرات الضخمة في الشوارع في ذكرى شهادته ⁴.

9- الرجعة والغيبة:

يقولون بالرجعة والغيبة والرجعة هي عودة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، فيرجعون إلى حياتهم التي كانوا عليها ⁵، أما الغيبة فهي من العقائد الأساسية عند الامامية ويعتقدون أن الأرض لا تخلو من امام لحظة واحدة ⁶.

10- إمامي الاستقرار والاستيداع:

إن الإمامة عند الإسماعيلية امامتان، إحداهما أفضل وأوسع سلطة من الأخرى، وهما إمامة الاستقرار وإمامة الاستيداع فالأولى تمنح الحق توريثها للأبناء، أما الثاني فهي تفويض مرحلي ومؤقت للسلطة إلى أن يحين موعد الظهور صاحب الحق الذي يمارس كل سلطاته، وما يميز الإمام المستقر من المستودع، أن استقرار الإمامة لا يكون إلا بأبناء علي رضي الله عنه روحيا وجسمانيا كما أن للمستقر الحق في تفويض الإمامة لأحد دعاة التفات لبيث الغاية باسمه بينما يبقى هو بعيدا عن الخطر، إن وضع الأئمة في مراتب على هذا الشكل تخبط مبتدع من قبل الدعاة، يهدف المستقر والمستودع اتخذها الإسماعيليون وسيلة

¹ - المصدر نفسه.

² - المصدر نفسه.

³ - الغزالي، المصدر السابق، ص 60.

⁴ - محمد عبد الستار التونسي: "بطلان عقيدة الشيعة وبيان معتقدها ومفترقاتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية"، دار النشر الإسلامية العالمية، باكستان، المكتبة الامدادية، مكة، السعودية ص 107.

⁵ - ناصر بن عبد الله بن علي الفقاري: "مسألات التقريب بين أهل السنة والشيعة"، دار طيبة للنشر و التوزيع، ص 339-340.

⁶ - الغزالي، المصدر السابق، ص 350-351.

لتبرير تولي ميمون القداح وبنيه من بعده إمامة الاستيداع كحجة للأئمة المستقرين من أبناء محمد بن إسماعيل، وتكتم وإخفاء كل ما يتعلق بالأئمة غايته إحاطتهم بالغموض إضفاء نوعاً من القداسة لدى أتباعهم، لقد اضطر دعاة الإسماعيلية إلى استخدام نظرية الاستيداع الإمامي لمقاومة الدعوة الاثني عشرية وإبطال حقهم في الإمامة وجذب أتباعهم إلى المذهب الإسماعيلي.¹

11- العصمة:

ادعى الإسماعيليون بأن لأئمتهم صفات وخصائص تميزهم عن بقية الناس وتنزلهم منزلة الأنبياء بل وتؤهلهم أو تشبههم بالإله أحياناً وهذا ما يترتب عنه الأخذ بكل ما يقال أو يسمع عن الإمام دون مناقشة أو جدل تفكير لاعتقادهم أن الإمام شخصية معصومة عن الخطأ والسهو والنسيان وفي ذلك يقول المؤيد بالله² (749 هـ _ 1348 م) وقد اتفقوا - أي الإسماعيلية - على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم يرجع إليه في تأويلات الظواهر وحل الإشكاليات في القرآن والسنة ويكشف كل ملتبس في المعقول واتفقوا على أنه يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الأمور كلها، إلا أنه لا ينزل عليه الوحي، مع ضرورة وجود إمام معصوم منصوب عليه من نسل محمد بن إسماعيل على أن يكون الابن الأكبر و قد وصف من مات ولم يعرف إمام زمانه ولم يكن في عنقه بيعة له بأن ميتته ستكون ميتة الجاهلية.³

ثانياً: أصول المذهب المالكي.

تنقسم أصول المذهب المالكي⁴ إلى أصول نقلية وأصول عقلية وهي:

¹ - مركز رواد الترجمة ، موسوعة المصطلحات الإسلامية ، ص 269.

² - المؤيد بالله ، يحيى بن حمزة العلوي علي ابن الحاجب (ت 749 هـ) ، عالم ديني و مؤلف في العصور الإسلامية الوسطى ، محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، تح ، حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، 1403 هـ _ 1983 م ، ج 3 ، ص 358.

³ - غالب عواجي ، الحركات الباطنية ، مكتبة التنوير ، ط 2 ، 1982 ، ص 106.

⁴ - محمد إبراهيم علي ، اصطلاح المذاهب عند المالكية ، ط1 ، دار البحوث و الدراسات الإسلامية و إحياء التراث ، 2000 ، ص54.

1- الأصول النقلية وهي:

__ القرآن الكريم: يلتقي الإمام مالك مع جميع الأئمة في كون كتاب عز وجل هو أصل الأصول يستدل بنصه وبظاھرہ القرآن الكريم هو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله (ص) بألفاظه العربية ومعانيه الحقّة وهو المدون بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس والمنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة محفوظا من كل تحريف¹ مصداقا لقوله تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"².

__ السنة النبوية: وهي المصدر الثاني بعد القرآن وهي كل ما صدر عن الرسول (ص) من قول أو فعل أو تقرير، فالسنن المنقولة هي الأحاديث التي قالها رسولنا الكريم (ص) مثل قوله: "لا ضرر ولا ضرار" والسنن الفعلية هي أفعاله (ص) مثل أدائه الصلوات الخمس بھيئتها وأركانها والسنن التقريرية وهي ما أقره الرسول (ص) من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره أو بموافقته وإظهار استحسانه.³

- الإجماع: ومدلول كلمة إجماع عند الإمام مالك في قوله: "وما كان فيه الأمر المجتمع عليه فهو ما اجتمع عليه أهل الفقه والعلم ولم يختلفوا فيه". والإجماع نوعان: إجماع صريح، وهو أن يتفق مجتهدوا العصر على حكم واقعة بإبداء كل منهم رأيه صراحة بفتوى أو قضاء والإجماع السكوتي وهو ما يبدي بعض مجتهدي العصر ورأيهم صراحة في واقعة ويسكت باقيهم عن إبداء رأيهم فيها بموافقة ما أبدى فيها أو مخالفته.⁴

¹ - عبد الرحمن الشعلاني ، الإمام مالك ، أدلته النقلية، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود ، 2023، ج 2، ص 42.

² - سورة الحجرات، الآية 9.

³ - محمد ابراهيم علي ، المصدر السابق، ص 54.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 80.

- شرع ما قبلنا: ذهب الإمام مالك على أن الشرع ما قبلنا شرع لنا وهو تلك الأحكام الشرعية المقررة في شرائع الأنبياء والرسل السابقين على النبي محمد (ص) والتي أخبرنا بها القرآن في القصص أو بصحيح السنة.¹

2- الأصول العقلية:

كان الإمام مالك اجتهادي ومن الأصول العقلية :

- القياس: وهو إلحاق واقفة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها، في الحكم الذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم ويذهب جمهور العلماء المسلمين أن القياس حجة شرعية على الأحكام العملية.²

- الاستحسان: هو الأخذ بأقوى الدليلين وعرفه الشاطبي³: "الاستحسان هو الأخذ بمصلحة جزئية في مقابل دليل كلي" وعرفه ابن أبي زيد القيرواني بأنه: "التوسط في القول عند تعلق الفرع بغير أصل واحد في التشبيه"⁴ , أما الإمام مالك فيقول: "الاستحسان تسعة أعشار العلم" مثال الاستحسان: جواز الشهادة بالسماع في النسب والموت والنكاح والدخول وإن لم يعاين الشهود ما شهدوا عليه.⁵

¹ - ابن خلدون , المصدر السابق , ج 1 , باب 6 , فصل الفقه , ص 447.

² - القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي , (ت 474 هـ) , احكام الفصول في أحكام الأصول , تح عبد المجيد تركي , مج 1 , ط 2 , المكتبة الشاملة دار الغرب الإسلامي , 1995 , ص 206.

³ - الشاطبي, أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت 790 هـ) , الموافقات , تحقيق حسين آيت سعيد , مج 4 , منشورات البشير بن عطية , فاس , المغرب , ج 1 , ص 148_149.

⁴ - القيرواني, أبو محمد عبد الله بن أبي زيد (ت 386 هـ) , الذب عن مذهب مالك في غير شيء من أصوله وبعض مسائل من فروعه وكشف ما ليس به بعض أهل الخلاف وجهله من مخارج الأسلاف , تح محمد العلمي , مج 1 , ط 1 , مركز الدراسات و الأبحاث وإحياء التراث المغربي , المملكة المغربية , ص 97.

⁵ - الشاطبي , المصدر السابق , مج 5 , ص 198.

- الاستصحاب: عرفه ابن القيم بأنه استدالة إثبات ما كان ثابتاً أو نفي ما كان منفياً أي بقاء الحكم الثابت نفياً أو ثباتاً حتى يقوم دليل على تغيير الحالة.¹

- سد الذرائع: وهو دليل على ورع الإمام مالك وأن مذهبه مبني على سد الذرائع واتقاء الشبهات فهو أبعد المذاهب عن الشبهة، مثال عن سد الذرائع، نهى المقرض من قبول الهدية من المدين حتى يحسبها من دينه لئلا يكون ذلك ذريعة إلى تأخير الدين لأجل الهدية، فتكون ربا فانه يعود إليه ماله وقد اكتسب الفضل الذي آل إليه بالإهداء والله أعلم.²

__ مراعاة الخلاف (الاستحسان): عرفه ابن عرفه بقوله: " إعمال دليل في لازم مدلولية الذي أعمل في نقيضه دليل آخر"³، وقال فيه ابن رشد: " من أصل مذهب مالك مراعاة الخلاف وهو استحسان "⁴

__ عمل أهل المدينة: ما نقله أهل المدينة من سنن نقلاً مستمرا من النبي (ص) أو ما كان رأياً أو استدلالهم⁵ وهو ما انفرد المذهب المالكي ويقدم عندهم على جز الآحاد مثال: عدم إخراج الزكاة من الخضر والفواكه.

__ المصالح المرسلّة: المصالح المطلقة من الاعتبار والإلغاء التي لم يرد عن الشرع أمر بجلبها ولا نهى عنها بل سكّت عنها وهي حجة عند مالك وهي ثلاثة أنواع: المصالح المعتبرة شرعاً أي التي أمر العباد بجلبها لأنفسهم كمصلحة حفظ العقل.⁶

¹ - المصدر نفسه ، مج 6، ص 1.

² - المصدر نفسه، ص 358.

³ - الشاطبي ، الاعتصام، المجلد 2 ، المكتبة التجارية الكبرى ص 147.

⁴ - الرضاع ، محمد الأنصاري أبو عبد الله ، الهداية الكافية الشافعية ، دار الغرب الإسلامي، ص 177.

⁵ - الولائي، أبو عبد الله محمد يحيى بن مختار بن طالب عبد الله ، (ت 1330 هـ) ، إيصال السالك في أصول الامام مالك ، تح مراد بوضاية ، مج 1، ط 1، دار ابن حزم للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص 38.

⁶ - المصدر نفسه ، ص 45.

المصالح الملغاة شرعا: أي التي نهي الشارع العباد عن جلبها لأنفسهم كمصلحة ارتداع الملك عن الجماع في نهار رمضان والمصلحة المرسلة أي المطلقة من الاعتبار والإلغاء مثل مصلحة الإقرار من المتهم بالسرقة فان الإمام مالك يبيح جلبا بضربه حتى يقر.¹

— العرف والعادة: تعد من أصول الاستنباط عند الإمام مالك حيث يتمشى كثيرا مع مفهوم المصلحة.²

—النظر المقاصدي: إن الإمام مالك عندما يطلق الرأي يفني به فقهه الذي يكون بعضه رأيا اختاره من مجموع آراء التابعين وبعضه رأيا قد قاسه على ما علم ومن ثم فان باب أصول فقه الرأي عنده هو ما عليه أهل المدينة وعلم الصحابة والتابعين ويمكن تلخيص ذلك في قاعدة جلب المصالح ودرء المفسدات التي عليها مدار مقاصد الشريعة الإسلامية فهذا هو أساس من الرأي عنده مهما تعددت ضرورته واختلفت أسماؤه.³

—قول الصحابي: الصحابي هو من لقي النبي (ص) مؤمنا به ومات على الإيمان، الأخذ بأقوال الصحابة وحين تعدد أحوال الصحابة في مسألة واحدة فان مالك يأخذ منها ما يتفق مع عمل أهل المدينة.⁴

—ما جرى به العمل:وهو العدول عن القول الراجح أو المشهور في بعض المسائل إلى قول ضعيف فيه مصلحة الأمة أي العمل بالضعيف درءا لمفسدة أو عمل بالضعيف لجلب مصلحة أو عملا بالضعيف مراعاة للعرف.⁵

¹ - الشاطبي , المصدر السابق, ص 238.

² - ابن خلدون , المصدر السابق, الباب السادس، فصل الفقه.

³ - عبد الرزاق ورقية , المدخل إلى أصول المذهب المالكي وقواعده، ، ط 1، العرف والعمل , 2015، ص 344.

⁴ - الشاطبي, المصدر السابق , ص 394.

⁵ - المصدر نفسه , ص 245.

الفصل الثاني: قيام الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الأول : الدولة العبيدية.

المبحث الثاني: بداية الدولة العبيدية في المغرب الإسلامي.

المبحث الثالث: سياسة أئمة الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي.

تمهيد:

عرف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ميلاد أكبر وأقوى دولة شيعية في التاريخ الإسلامي متمثلة في الدولة العبيدية التي تبنت دينيا المذهب الإسماعيلي الباطني، قامت على أهداف دينية أكثر منها سياسية أو اقتصادية لهذا مهد أتباعها لوجودها الديني والعقائدي لتأسيسها من خلال الدعوة للمذهب الإسماعيلي والتعريف به وقد تحقق ذلك من خلال عدة مراحل، وهذا ما نحاول معالجته في هذا الفصل بداية من تكوينها وصولا إلى قيام الدولة العبيدية في المغرب الإسلامي.

المبحث الأول: الدولة العبيدية.

أولاً: التعريف بالدولة العبيدية.

العبيدية: هم أتباع عبيد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية في المغرب الإسلامي والأندلس.

عرفت الدولة العبيدية في التاريخ الإسلامي بأسماء مختلفة ونسبت إلى أنساب متعددة فتارة تسمى بالدولة الشيعية العبيدية وتارة، الدولة الفاطمية وتارة، الدولة العلوية وتارة، الدولة الإسماعيلية، فالدولة العبيدية الإسماعيلية الفاطمية هي دولة شيعية تعظم أهل بيت النبوة وتنتسب إليهم وتعالى بعض أفرادها في تعظيمهم إلى درجة لا يقرها الدين الإسلامي ولا العقل السليم وتسمى بالدولة العبيدية¹ نسبة إلى مؤسسها الأول عبيد الله بن الحسين المهدي و أول أئمتها و التي دعا إليها عبد الله بن ميمون القداح .

وتسمى أيضا الدولة الفاطمية² نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وذلك لخداع الناس وتضليلهم بهذا النسب الشريف، وتسمى بالدولة العلوية نسبة إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وتسمى بالدولة الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق³ (145 هـ - 763 م) الذين قالوا بإمامته وكان أكبر أولاد أبيه جعفر، وسموا أيضا بالرافضة والرفض هو الترك واصطلاحا هم الإسماعيليون الذين تركوا زيد عندما منعهم من سب الشيخين، قال الأصمعي: " كانوا بايعوه ثم قالوا له: أبرأ من الشيخين، نقاتل معك، فأبى وقال: كان وزيري جدي فلا أبرأ منهما، فرفضوه وأرفضوا عنه فسموا بالرافضة"⁴. والدولة الفاطمية أو العبيدية هي دولة الخلافة الإسلامية الوحيدة التي اتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبا رسميا لها، قامت بعد أن نشط الدعاة الإسماعيليون في إذكاء الجذوة الحسينية

¹-عبيد الله بن ميمون القداح هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان التنوي الأهوازي وهو مجوسي من أصل فارسي وقيل يهودي من الأهواز من أشهر الدعاة السريين الباطنيين، الذهبي ، المصدر السابق ، ج 15، ص 142.

²- ابن الجوزي محي الدين يوسف ابن الشيخ، (ت 597 هـ)، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ط2، دار هجر، 1988، ص 65.

³- المقرئزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين، اتعاظ الخنفاء ، أخبار الأئمة الفاطميين، تح جمال الدين شبال، ط2 القاهرة ، 1996، ج2، ص 41.

⁴-ابن منظور، المصدر السابق، ص 157.

ودعوة الناس إلى القتال باسم الإمام المهدي المنتظر وذلك خلال العهد العباسي وأقاموا في بلاد المغرب الإسلامي بعيدا عن الحكم العباسي الذي اضطهدهم في المشرق بسبب الخلاف بين العباسيين والهاشميين على الزعامة السياسية والدينية ففر بعض الهاشميين إلى أطراف العالم الإسلامي بعيدا عن مراكز الدولة السياسية والعسكرية والمراقبة الأمنية، وقد كانت الدولة الإدريسية أول دولة مستقلة من النوع العلوي الهاشمي في المغرب الأقصى سنة (173 هـ - 789 م) وكذلك الدولة¹ الزيدية في بلاد اليمن، ويرجع المؤرخون على أن معظم المصادر الشيعية تؤكد أن مؤسسها هو عبيد الله المهدي ونسبه يرجع إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بينما هناك مصادر أخرى أنكرت هذا النسب وأرجعت أصل عبيد الله إلى الفرس أو اليهود والذي استغل معاناة سكان بلاد المغرب (البربر) من التهميش والاضطهاد العباسي على يد حكامهم المحليين وعلى رأسهم الأغلبية الأمر الذي سبب غضب القبائل وثورته عليها وظهور حركات التمرد في عدة جهات في ظل هذا الوضع عمل أبو عبد الله الشيعي الكوفي² على بث دعائه الذين نشروا بين الناس أن المهدي الذي سيخلصهم من ظلم العباسيين وولايتهم حي قائم يقول المقرئزي: " انتشرت حينئذ جنود أبي عبد الله في البلاد وصار يقول: "المهدي يخرج في هذه الأيام، ويملك الأرض، فيا طوبى لمن هاجر إلي وأطاعني"³.

وقد تمكن أبو عبيد الله الداعي من بسط سيطرته السياسية والعسكرية على بلاد المغرب فترة قاربت عشر سنوات وبني مدينة سماها دار الهجرة وسمى أتباعه من قبائل كتامة⁴ وغيرهم بالمؤمنين.

¹ - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص 165.

² - أبي عبد الله الشيعي هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا من أهل حيفا باليمن، لقب الشيعي والمشرقي والصوفي والأهوازي ، ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت 681 هـ)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ص 192.

³ - المقرئزي، المصدر السابق ، ج 1، ص 41.

⁴ - كتامة: من أهم القبائل البربرية في بلاد المغرب الإسلامي ولقب كتامة يطلق أيضا على جبل بمنطقة إقامة القبيلة وهو ناحية الشرق الجزائري، ابن خلدون ، المصدر السابق، ج 6، ص 148.

وحين ترسخ الوجود الإسماعيلي أرسل أبو عبد الله إلى عبيد الله المهدي، الذي كان يدعو له في سلمية¹ بالشام أن يأتيه باعتباره رأس الدعوة وأمامها وقد هيا وجود الدولة الإدريسية العلوية² في المغرب الأقصى ووجود تسعة إمارات شيعية صغيرة في المغرب الأوسط لتقبل وجود دولة شيعية جديدة وقد يمكن أبو عبيد الله الداعي الشيعي من هزيمة دولة الأغلبية في تونس التي كانت تدين بالولاء الشديد للدولة العباسية بعد حكم دام مئة واثنى عشر سنة وتمكن من إرساء حكم الفاطميين سنة (296 هـ _ 908 م) وبمجيء عبيد الله المهدي ودخوله مدينة رقادة في تونس فقد تم إعلانه رسمياً خليفة في ربيع الثاني (297 _ 910 هـ / 1504_910 م) ووضع عبيد الله المهدي لدولته نظاماً مذهبياً قائماً على أساس معتقدات المذهب الإسماعيلي وخاصة رفعه شأن الحاكم فهو عندهم خليفة الله في الأرض وهو المنحدر من نسل فاطمة بنت الرسول (ص) وهو حسب تعاليم الإسماعيلية نبي زمانه الذي اعتمد معاداة السنة والمذهب المالكي بالتحديد لهذا واجه حكمه عدة ثورات ودخل في صراع دائم طيلة وجود الإسماعيليين في بلاد المغرب الإسلامي بسبب تعصبهم وتشيعهم لأفكار بعيدة كل البعد عن السنة والعقيدة السليمة وهذا ما جعلهم يضطهدون بقية المذاهب وخاصة أهل السنة من المالكية.³

وقد أسسوا مدينة المهديّة سنة (300 هـ _ 912 م) واتخذوها عاصمة لهم في سنة (336 هـ _ 948 م) نقلوا حكمهم إلى مدينة المنصورية ولما فتحوا مصر سنة (358 هـ _ 969 م) أسسوا مدينة القاهرة وجعلوها عاصمتهم الروحية والسياسية حتى انهيارها، يقول عبد العزيز المجذوب عن انتشار الإسماعيلية وقيام الدولة الفاطمية: "تمكن عبيد الله من إقامة أول دولة شيعية في أرض إفريقية بفضل داعية أبي عبد الله الذي قاوم إفريقيا وجلس خلال القبائل ودخل عقولهم فاستجابوا لدعوته وصار له جيش أطاح بدولة سجلماصة وتاهرت وبني الأغلب وكون مملكة واسعة جعل منها عبيد الله دولة صارت

¹ - سلمية: مدينة سورية تقع على بعد 32 كلم من مدينة حماة شرقاً لها قيمة تاريخية لأنها مركز الأئمة الإسماعيليين، أحمد وصفي زكريا (ت 1964 م) ، المفكرة الزراعية ، دار الفكر المعاصر ، دمشق 1984، ص 175.

² - الدولة الإدريسية: أول دولة إسلامية مستقلة في المغرب، أسسها المولى إدريس الأول أواخر القرن الثاني هجري، سعدون عباس، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت، ص 46.

³ - ادريس الداعي، المصدر السابق ، ص 169.

على يد أحفاده إمبراطورية (الفاطمية)، غير أن ما أظهروه من معتقدات وماسنوا من تعاليم يؤكد أنهم غلاة مبتدعون وهذا هو السبب الأساسي للصراع الذي نشب بينهم وبين السنين من المالكية في أهل إفريقيا¹.

ثانيا: نسب العبيدين.

شكل نسب العبيدين موضوع جدل بين المؤرخين وقضية انتمائهم إلى البيت العلوي من عدمه والتساؤل حول صحة عودته إلى فاطمة بنت رسول الله (ص) أم أنه مجرد ادعاء زعموه من أجل تحقيق أهداف دنيوية ولعل فترة استتار الأئمة وما صاحبها من غموض هو السبب في اختلاف المؤرخين حول أئمة الإسماعيلية في هذا الدور وحتى بين الشيعة والسنة والإسماعيليين أنفسهم لهذا نجد عدة آراء منها:

— هناك مؤرخون أكدوا النسب الفاطمي للدولة العبيدية ومنهم ابن حماد (628 هـ _ 1230 م) والذي ذكر في كتابه "أخبار ملوك بن عبيد وسيرهم " حول النسب العبيدي قائلا: "...ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله فالذي ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه والذي ادعاه الناس لا برهان عليه فلا حاجة لي إليه"²، كما أكد هذا النسب ابن الأثير (630 هـ _ 1232 م) حيث قال "إن نسبه صحيح على ما ذكرناه"³ وأيضاً نجد ابن خلدون (88 هـ _ 707 م) الذي كان من أشد المدافعين عن النسب الفاطمي فيقول: " من الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين عن النسب الفاطمي والإثبات في العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيعهم عن أهل البيت صلوات الله⁴ وكذلك المقريري رغم أن هؤلاء المؤرخين اختلفوا في أسماء أئمة الستر (دور الستر) وهذا ما يشكك في صحة النسب لأن إلحاق النسب بآل البيت يلحق الفساد بآل البيت من سب للصحابة والتكليف بالمسلمين.

¹ -عبد العزيز المجذوب، الصراع المذهبي بإفريقيا قيام الدولة الزيرية، ط 1، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت 2008، ص 202.

² -علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تح التهامي نقره، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، مصر، ص 35.

³ -بن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 578.

⁴ -ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 27.

- هناك من المؤرخين الذين أنكروا النسب الفاطمي لحكام الدولة العبيدية وأغلب مؤرخي السنة يتبنون هذا الرأي وينكرون صلاحهم بآل البيت ومن هؤلاء ابن رزام (توفي 398هـ _ 1007م) وكذلك محسن العلوي (توفي 385هـ _ 995م) ونقل عنه المقرئ قوله: "هؤلاء القوم من ولد ديصان الثنوي الذي نسب إليه الثنوية¹, وكذلك كان رأي أبو بكر الباقلاني (403 هـ _ 1012م) في قوله: "القداح جد عبيد الله كان مجوسيا، ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي ولم يعرفه أحمد من علماء النسب"² وأيضا القاضي بن جبار البصري (415 هـ _ 1024م) ومن أشد الطاعنين في نسب العبيدين، الإمام الذهبي، (748 هـ _ 1348م) ومن جملة ما قاله: "وفي نسب المهدي أقول: حاصلها أنه ليس بهاشمي ولا فاطمي" وكذلك ابن حزم الظاهري وأبي الشامة (655 هـ _ 1257م) صاحب الروضتين الذي صرح بعدم صحة انتسابهم وأن نسبهم يصل إلى عائلة القداح وأن سبب انتشار دعواهم ما دلسوه على أتباعهم وما تم خداع الناس به فكيف يدعي النسب لبيت رسول الله ثم يخوض عرض زوجاته أمهات المؤمنين³, وكذلك ابن تيمية⁴ (727 هـ _ 1327م) الذي أنكر ذلك قائلا: "أولاد ميمون القداح الذين كان جدهم يهوديا ربيبا لمجوسي وزعموا أنهم أولاد محمد ابن إسماعيل بن جعفر"⁵ وخلاصة هذه الآراء هي الرفض للنسب الفاطمي وهو رأي أكثر إقناعا من حيث الحجج ومجمل هذه الآراء ينقسم إلى فكرتين: الأولى أن عبد الله المهدي ابن لرجل يهودي كان حدادا بسلمية وترملت أمه فتزوجها أحد أشراف العلويين وربى هذا الغلام ثم ادعى نسبا علويا والثاني: أن عبد الله من نسل ميمون بن ديصان القداح مولي جعفر الصادق.

¹ - المقرئ، المصدر السابق، ص 22.

² - يوسف ابن تغرى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتاب، مصر ج 4، ص 75.

³ - الذهبي، المصدر السابق، ج 15 ص 151.

⁴ - ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين، (ت 738 هـ) منهاج السنة، دار الحديث، القاهرة، ج 8، ص 59.

⁵ - عقبة بن مدرور، تحقيق النسب الفاطمي بين المؤيدين والمنكرين (567هـ - 297هـ)، مجلة مدارات تاريخية، مج 1، العدد 3، المركز العربي للدراسات والبحوث ص 495.

كما كان للدولة الإسلامية رأي في عهد الخلافة العباسية سنة (402هـ _ 1011م) حيث أصدروا مرسوما يحمل توقعات الكثير من المحققين والقضاة والمحدثين في الطعن في نسب العبيدين وأنهم ملحدون زنادقة معتقدون للثنوية والمجوسية.¹

- رأي الإسماعيلية: اختلف هم أيضا في نسب العبيدين بين من قال أنهم من نسب العلويين ومن قالوا أنهم من نسب القداح فهذا القاضي النعمان الذي أكد أن المهدي ليس من سلالة فاطمة وإنما هو إمام استيداع كما أكد الداعي إدريس في كتابه (زهر المعاني) في قوله: "المهدي بالله رابع الخلفاء، حامل أمانة الله ووديعته ومسلمها إلى القائم بأمر الله ولده المنتسب إليه بتعليم هو لقادته ".²

كما حاول بعض المؤرخين من العرب والمستشرقين إثبات النسب الفاطمي منهم المستشرق برنارد لويس (ت2018م) الذي يرى بأن بعد وفاة إسماعيل قامت امامتان، إمامة في نسل محمد وتنتهي إلى القائم آخر أئمة دور الستر وبالموازاة معها رافقتها إمامة أخرى من الأئمة المستودعين لحماية الأئمة الحقيقيين وهم من نسل ميمون القداح آخرهم عبيد الله المهدي الإمام المستودع³ وفي الأخير يمكن الجزم أن نسب العبيدين ليس صحيح ولم ينسب عبيد الله إلى آل البيت، وصاحبه في رحلته أبو العباس أخو عبد الله الشيعي ولكن لما قبض الشيعي على هذا أبو العباس غير المهدي طريقه إلى سجل ماسة ثم استمر مدة وتوسع في بلاد المغرب وحقق انتصارات في عدة مناطق واستولى على باغاية ثم مجانة ثم مسكينة و تبسة وقسطيلة وبعث بعد ذلك في طلب إمامه عبيد الله المهدي ليؤسس قواعد الدولة العبيدية.⁴

¹ - الشهرستاني , المصدر السابق, ص 49.

² - ادريس عماد الدين الداعي, عيون الأخبار وفنون الآثار, تح مصطفى غالب, ط 1, دار التراث الفاطمي, بيروت, لبنان 1973 ص 393.

³ - حسن ابراهيم حسن , طه أحمد شرف , عبد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب, مكتبة النهضة المصرية , مصر , 1366 هـ _ 1947م, ص 79.

⁴ - إحسان الهي ظهير , المصدر السابق , ص 251.

المبحث الثاني: بداية الدعوة الإسماعيلية في المغرب الإسلامي.

أولاً: دور أبي سفيان والحلواني في نشر المذهب الإسماعيلي.

يرجع الكثير من المؤرخين حركة الدعوة الإسلامية السرية في بلاد المغرب الإسلامي إلى سادس الأئمة العلويين جعفر الصادق ابن محمد باقر الذي اهتم بنشر علوم وفنائل آل البيت في مختلف ربوع الأقاليم الإسلامية خاصة البعيدة عن مركز الخلافة وإليه يرجع إرسال داعيين إلى بلاد المغرب الإسلامي وهما عبيد الله بن علي بن أحمد المشهور (الحلواني) و أبوسفيان الحسن بن القاسم وقد يعتقد بإمكانية نشر أفكاره لدى استعداد سكانها لتقبل أفكار جديدة حيث قال لهما: " اذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيا أرضا بورا فاحرثاها وكرباها إلى أن يأتي صاحب البذر فيجدها مذلة فيبذر حبه فيها " ¹ وقد كان للنشاط التجاري دور كبير في تسريب أفكار التشيع إلى مناطق عدة خاصة مرجانة وإقليم قسطليلية وجل المصادر تؤكد أن التاريخ لإرسال الداعيين كان سنة (145 هـ _ 762م).²

ثانياً: دور أبي عبد الله الشيعي في تأسيس الدولة العبيدية.

بعد نجاح الداعيين أبي سفيان والحلواني في تهيئة النفوس وتخدير العقول من أجل تقبل الدعوة الإسماعيلية، أرسل القائمون على الدعوة داعية ينشر ملتهم وأفكارهم واختاروا أبا عبد الله الصنعائي المعروف بالشيعي والمحتسب والمعلم والذي اتصف بقدرته على الإقناع وفصاحة لسانه ليستكمل ما قام به سابقه وكان أول احتكاك له بأهل المغرب في الحج لنشر أفكاره بينهم وكان له ذلك مع رجل من قبيلة كتامة ولم يدخر جهدا في سبيل استمالتهم لمذهبه وسار معهم إلى بلادهم ووصل إلى مضاربهم وأخبرهم عن دعوته وأمر شيخ كتامة أتباعه بإتباع أوامر الداعي الشيعي الذي رفض المناظرة مع العلماء الذين خالفوه الرأي وهذا ما سبب الصراع بين معارضيه من جهة ومؤيديه من أهل البربر ³

¹ - ابن خلكان، المصدر السابق ، ج 5، ص 46.

² - المقرئ، المصدر السابق ، ص 41.

³ - القاضي النعمان المغربي بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت 974 هـ) ، افتتاح الدعوة (346 هـ) ، تح فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس، ديوان المطبوعات الجديدة ، الجزائر ، ص 275.

ووقعت بينهم معارك كانت الغلبة له ثم انتقل إلى مدينة ميله واستولى عليها، وهذا النصر دفعه إلى إرسال في طلب حضور عبيد الله المهدي إلى طرابلس.¹

ثالثاً: هجرة عبيد الله المهدي وإعلان قيام الدولة العبيدية.

تقول بعض مصادر الشيعة بأنه كان من المفروض أن يهاجر إلى اليمن ويعلن دولته هناك ولكن سرعان ما تحول إلى بلاد المغرب الإسلامي وخاصة بعد وصول أخبار سارة له عن الانتصارات الدعوية والعسكرية لعبد الله الشيعي ورغم خروج والي مصر في طلبه فقد استطاع أن يتنكر عبيد الله المهدي في زي تاجر ويفر منهم وتوجه إلى قسطلية² ومنها دخل إلى سجلماسة وفيها سجنه حاكمها اليسع بن مدرار وعندما سمع عبد الله الشيعي بذلك خرج لنجدة سيده وتقاتل مع اليسع³ وتغلب عليه وتم إخراج عبيد الله من سجنه وسار به وسط الجموع وهو يقول: "هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون"⁴ وبقي المهدي وابنه القائم وأتباعه يطاردون اليسع حتى تم القبض عليه الذي كان فاراً وقتلوه واستولى على أمواله وضم المنطقة إلى ملك العبيديي نوعين عليها واليا إبراهيم بن غالب المزاتي⁵ ثم خرج إلى القيروان وعرج على تيهرت ثم واصل سيره إلى رقادة واستقبله عبد الله الشيعي وأخوه العباس وشيوخ القيروان وكان ذلك في 18 ربيع الثاني سنة (297 هـ - 910 م) الموافق ل 03 جانفي 910 م وهنا بدأ عهد جديد على المغرب الإسلامي من خلال سيطرة كيان جديد على المنطقة متمثلة في الدولة العبيدية الشيعية وأول

¹ - المصدر نفسه، ص 275.

² - قسطلية: اسم لمنطقة بالمغرب الأردني وهي من إقليم توزر، أبو عبيد الله البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب (ت 1094)، كتاب المسالك والممالك، تح، جمال طلبة، المكتبة الشاملة، ص 708.

³ - اليسع بن مدرار بن اليسع بن سمكو بن واسول المكناسي، حكم دولة بني مدرار العفريّة من 270 هـ - 883 هـ تبعيته كانت للدولة العباسية، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 203.

⁴ - القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 279.

⁵ - إبراهيم بن غالب المزاتي أو المراسي والمزاتي قبيلة بربرية من لواتة دامت ولايته 50 يوماً فقط، علي محمد الصلابي، الصراع بين أهل السنة والرافضة، نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، مكتبة الصحابة، الامارات - الشارقة، مكتبة التابعين، القاهرة عين شمس، ص 76.

حكامها عبد الله المهدي، في نفس الوقت زالت دول كانت في المنطقة وهي دولة بني مدرار والدولة الرستمية.

المبحث الثالث: سياسة أئمة الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي.

أولاً: موقف الدولة العبيدية من المذهب المالكي وجرائمهم في بلاد المغرب الإسلامي.

كان موقف الدولة العبيدية من المذهب المالكي موقفاً عدائياً مناوئاً من أول الأمر لاختلاف العقائد والمبادئ والاتجاهات وذلك لأن المالكية يقولون بعدالة عامة الصحابة وأن من سب الصحابة كفر فيما أن بني عبيد يقولون بخلاف ذلك ويسبون الصحابة جهرة وكان علماء المالكية لهم بالمرصاد بالشدة والحزم والتصدي وجهاً لوجه لحفظ هوية الأمة وحماية الإسلام وصيانة الدين من العدوان والضياع ولذلك أعلن بنو عبيد حرباً مفتوحة على فقهاء المالكية. وباشروا تنفيذ السياسة العدائية المخططة ضد المذهب المالكي وأهله لإخلاء الساحة لهم وبسط نفوذهم العقادي من خلال نشر المذهب الإسماعيلي ونفوذهم السياسي أيضاً إذ نهجت الدولة العبيدية سياسة اقصائية عنيفة بالغة السوء وارتكبت جرائم شنيعة مهولة ضد المذهب المالكي وأهله وعلمائه وأجبر العبيديون الناس على الدخول في دعوتهم فمن أجاب تركوه وربما ولوه بعض المناصب ومن رفض قتل، كما فعلوا في أول جمعة خطبها عبيد الله في القيروان، فوقعت مقتلة عظيمة وقتل من علماء السنة الآلاف بسبب تمسكهم بدينهم ودفاعهم عن السنة كما ارتكب العبيديون أبشع الجرائم في أهالي إفريقيا من أهل السنة وأنزلوا سخطهم على علماء المالكية¹. نذكر منها:

— قتل وذبح العلماء منهم ابن البردون وابن الهذيل عندما رفضا أن يشهدا بأن المهدي رسول الله حيث قالوا: "والله لو جاءنا هذا والشمس على يمينه والقمر عن يساره ما قلنا انه رسول الله، فأمر بذبحهما"²

¹ - القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 244.

² - الحسين ابن محمد الشواط ، كتاب مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هـ ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ج 1، ص 173.

ومن العلماء الشهداء محمد بن خيرون المعافري¹ الذي قتل دوسا بالأرجل والعبيد يقفزون عليه من مكان عال حتى فاضت روحه إلى بارئها وهذا بأمر من عبد الله القداح المسمى بالمهدي.

والإمام الشهيد ابن البردون الذي وشى به إلى عبد الله بأنه يطعن في دولتهم فأمر بقتله ولما جرد للقتل قيل له "أترجع عن مذهبك؟" قال: "أعن الإسلام أرجع؟" ثم صلب عام (299 هـ _ 911م²)، والإمام القدوة أبو بكر النابلسي الذي أتى به من الشام في قفص من خشب فقال له جوهر الصقلي وبحضور (المعز) أنت القائل: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي الروم بسهم وفيما تسعة أسهم؟ " قال أبو بكر: " ما قلت هذا بل قلت إذا كان معي عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضا "، فأمر به يهوديا فسلخه من مفرق رأسه فكان الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاح ووكزه بالسكين في قلبه ففضى عليه³، والإمام الشهيد قاضي مدينة برقا محمد ابن الحبلي الذي لم يستجب لأوامر العبيدين فعلقوه بالشمس حتى مات ، كان شعراء الدولة العبيدية يمدحون خلفاءهم إلى درجة الكفر وينشرونها بين الناس مثال ذلك مدح الشاعر ابن هاني الأندلسي للمعز وكانوا يصفونه بالألوهية كما سبو الصحابة وطعنوا فيهم وزعموا أنهم ارتدوا بعد رسول الله (ص)، فشنوا حربا نفسية على أهل السنة وذلك بتعليق رؤوس الكباش والحمير على أبواب الحوانيت وكتبوا عليها أسماء الصحابة و لقد حاولوا بجد إزالة آثار من نقد منهم من الخلفاء السنيين وذلك بإزالة أسماء الحكام من على المساجد والحصون ووضعوا أسماءهم بديلا لها و منعوا التجمعات حتى وإن كانت في الجنائز وفي الليل يضربون عنق من يروونه واستولوا على أموال الأقباس وسلاح الحصون كما أصروا على اتلاف مصنفات أهل السنة ومنعوا الناس من تداولها وحرموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك ويقتلون

¹ - ابن الأثير ، المصدر السابق، ص 397.

² - المقرزي ، المصدر السابق، ج 16، ص 149.

³ - المصدر نفسه، ج 15، ص 142.

أو يسجنون كل من يفعل ذلك وينكل بجثثهم في الأسواق وينادى عليه: هذا جزء من يذهب مذهب مالك " كما فعلوا بأبو عبد الله بن العباس بن الوليد المعروف بالهزلي.¹

كما تم منع العلماء من التدريس في المساجد، فكانت كتب السنة لا تقرأ إلا في البيوت خوفا من بني عبيد، كما عملوا على تعطيل الشريعة وإسقاط التكاليف الشرعية وأباحوا المحرمات عمن تبع دعوتهم كما منع العبيديين الناس من قيام رمضان ومنعوا صلاة الضحى وقدموا صلاة الظهر وأظهروا سب الصحابة في خطبة الجمعة وبلغت بهم الاستهانة بالمقدسات أن دخلت خيولهم المسجد فسئل عن ذلك فقالوا: إن أبوالها وأرواتها طاهرة لأنها خيل المهدي، فأنكر عليهم قيم المسجد ذلك فقتلوه، كما غيروا الأذان بإضافة (حي على خير العمل) وأسقطوا من آذان الفجر (الصلاة خير من النوم) وعاقبوا كل من أفتى على مذهب مالك وصادروا مصنفات السنة ومنعوا الناس من تداولها كما منعوا علماء أهل السنة من التدريس في المساجد والاجتماع بالطلاب، كما استخدموا التعذيب والتنكيل وضربوا الفقهاء والمؤذنين بالسياط وصلبوا بعض الفقهاء أحياء وصادروا الأموال واستولوا على الأحباس كما منعوا التجمعات ورفضوا التجول ليلا كما أمروا بإزالة أسماء الحكام الذين بنوا المساجد والحصون وجعل أسمائهم بدلا عنهم.²

ثانيا: سياسة أئمة الدولة العبيدية.

أظهر الداعي عبد الله الشيعي التعامل القائم على الورع والزهد واللين في معاملة الأهالي ونشر الأمن كما كف أيدي الناس عن النهب والتخريب بمدينة رقادة اثر هروب الوالي الأغالبي فكان رد العامة في غاية اللطف، نقل هذا النعمان قائلا: "فأقبل عليهم بوجهه ورد عليهم أحسن رد وأمرهم، فركبوا دوابهم ودعاهم فاستصحبهم، وآمنهم في أنفسهم وأموالهم"³ ومن مظاهر اللين في التعامل مع أهل السنة لدى

¹ - علي محمد محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، ط 1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 203.

² - ابراهيم حسن، طه أحمد، المصدر السابق، ص 257.

³ - القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 244.

عبيد الله الشيعي هي كبح جماح أخيه أبو العباس وقال له: "إن دولتنا دولة حجة وبيان وليست دولة قهر واستطالة فاترك الناس على مذاهبهم"¹.

كما منع المناظرات بين الإسماعيليين وغيرهم بعد فشل دعائه في الثبات أمام حجج فقهاء المالكية بينما مال أخوه أبو العباس إلى استخدام القوة في نشر المذهب الإسماعيلي ومحاولة القضاء على المذهب السني ومن خلال هذه التصرفات بدأ الناس يدركون حقيقة الدولة العبيدية وقد تمكن الداعي عبيد الله من تكوين قاعدة شعبية بالغرب الإسلامي خاصة من قبيلة كتامة الذين شكلوا النواة الأولى للجيش الإسماعيلي كما خرج منهم دعاة ساهموا في تغلغل المذهب في أغوار وشعاب بلاد المغرب وظهر منهم قادة أيضا واستمر بعضهم في الولاء للعبيديين حتى بعد هجرتهم نحو مصر، هذه كانت سياسة الدولة ما قبل تأسيسها وإعلان قيامها بينما تميزت سياسة أئمة الدولة العبيدية بوجه مختلف وانتهج حكامهم أساليب مختلفة.²

* عبيد الله المهدي (297 - 322 هـ / 910 - 934 م):

تميز عبيد الله بشخصية قيادية عمل منذ وصوله البلاد إلى الاستئثار بالحكم وتركيزه في يده خاصة الجانب المالي³ وبمجرد السيطرة عليه بدأ بعديد التنظيمات السياسية والإدارية والدينية وفي أول جمعة بعد توليه الحكم أمر بقراءة الدعاء على المنابر والذي كان على نسق دعاء الشيعة وذلك باستثناء الصحابة من الدعاء والثناء و كان ذلك يوم تنصيبه يوم الجمعة 21 ربيع الثاني (297 هـ - 910 م)⁴, كما بعث خطاب للولايات حدد فيه الخطوط العامة لسياسته حيث أظهر الصرامة منذ البداية في التعامل مع المخالفين وتوعدهم بالتنكيل بهم وكل من خالفه أدخله في قائمة الكفر والإحاد كما اهتم بالتنظيمات الإدارية والحكومية وعين القادة الذين أيده ورافقوه في مسيرته ومن الدواوين التي استحدثها ديوان

¹ - الصلابي، المصدر السابق، ص44.

² - المصدر نفسه ، ص 45.

³ - القاضي النعمان ، المصدر السابق ص 299.

⁴ - ادريس الداعي ، المصدر السابق ، 167.

الكشف وهو شبيهه بجهاز المخابرات هدفه الكشف عن المعارضين للنظام كما خصص ديوان لأموال الهاربين من بني الأغلب كما كافئ كبار كتامة بتعيينهم على رأس الولايات والأقاليم وكان شرط الولاية هو الولاء المطلق له ممن خدموا مصالحهم في فترة الداعي كما استخدم المواليين والعبيد في سياسته الذين رافقوه من الشام.¹ وقامت سياسته على التضييق على أهل السنة وفتح المجال لسب رسول الله (ص) والصحابة وهذه الأفعال هي التي مهدت إلى ثورة المالكية ضده ودعوته لهم إلى مواجهة المد الشيعي في المنطقة فلم تكن فترة حكم عبد الله المهدي فترة أمن واستقرار ومن أهم أعماله بناء مدينة المهديّة حتى ينتقل للعيش فيها لأنه لم يكن مرتاحا في مدينة رقادة لولائها للأغلبة ومن أسباب بنائها أيضا فتنة أبي يزيد الخارجي ومحاولة الاغتيال التي تعرض لها المهدي من قبل الجند الكتاميين وما آلت إليه الأمور بعد تصفيته للداعي عبد الله الشيعي ومحاولته جعل المهديّة آمنة على نفسه فدعمها بالحصون وأبواب الحديد وحين تدشينها قال المقرئزي أنه قال: "اليوم آمنت على الفاطميات"² يعني بناته ومن أعماله أيضا إرساله جيشا لمصر قاده ابنه القائم بأمر الله بين سنتي (302 _ 303 هـ / 934 _ 945 م) ورغم فشل هذه الحملة إلا أنه ذكر أهل المشرق بها بأحقيته في الخلافة من العباسيين. استمر المهدي في حكمه حتى توفي في 15 ربيع الأول (322 هـ _ 934 م) وعمره 63 سنة وبهذا كان هو أول أئمة الظهور، دامت ولايته 24 سنة وشهرا.³

¹ - ابن عذارى , أبو عبد الله محمد المراكشي , (ت 645 هـ) , بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب , ط1 , دار الثقافة , بيروت , لبنان . ج , ص 162 .

² - عبد الحميد حسين حمودة , تاريخ المغرب في العصر الإسلامي , ط1 , الدار الثقافية للنشر , القاهرة , مصر , ص 301 .

³ - ادريس الداعي , المصدر السابق , ص 209 .

* القائم بأمر الله (322 - 334 هـ / 934_945 م):

تمت البيعة له بعد موت أبيه وقد ولد بسلمية سنة (280 هـ_893 م) ، عرف بغلوه الشديد في المذهب الإسماعيلي، قال عنه أبو شامة: "ولما هلك - يقصد هنا عبيد الله المهدي - قام ابنه المسمى بالقائم مقامه وزاد شره على شر أبيه أضعافا مضاعفة وجاهر بشتيم الأنبياء"¹.

تميزت سياسة القائم بأمر الله بعدم التساهل مع المخالفين للمذهب الإسماعيلي ومحاولة فرضه بالقوة والمجاهرة بالعقائد الإسماعيلية الفاسدة من سب للأنبياء وتكفيرهم ومن أقواله مناديه في السوق: "العنوا عائشة وبعلمها، العنوا الغار وما حوى"² كما نكل بالعلماء وقتل العديد منهم وحرق المصاحف والمساجد³، حاول الاستيلاء على مصر سنة (323 هـ_935 م) ولكنه فشل أمام القوات الاختيدية⁴ ومن الانتفاضات التي ظهرت في حكمه ثورة ابن طالوت القرشي (323 هـ_935 م)⁵ وثورة ابن يزيد الخارجي وهي أخطرهم توفي سنة 344 هـ_945 م.

* المنصور نصير الله أبو ظاهر إسماعيل (334 - 314 هـ / 946_953 م):

انحصر ملكه بالعاصمة المهدية فقط وبعض الضواحي أخفى حقيقة وفاة أبيه حتى قضائه على ثورة صاحب الحمار (336 هـ_948 م) أين أعلن الخلافة هو الذي أسس مدينة المنصورة⁶ وجعلها

¹ - الذهبي ، المصدر السابق ، ج 15 ص 257.

² - الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (ت 764 هـ) ، الوافي بالوفيات ، تح أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ج 19 ، دار احياء التراث العربي ، ص 243.

³ - الذهبي ، المصدر السابق ، ج 15 ، ص 152.

⁴ - الاخشيدية: دولة إسلامية استقلت عن الدولة العباسية في مصر والشام، حكمت مصر حتى قضى عليها القائد العبيدي، جوهر الصقلي، الذهبي ، المصدر السابق ، ص 99.

⁵ - ابن طالوت: ادعى أنه من أبناء المهدي واتبه البربر ثم كشف أمره وقتله القائم بأمر الله، ابن خلدون ، المصدر السابق ج 4 ، ص 40.

⁶ - المنصورة: مدينة بالقرب من القيروان دائرة الشكل مثل بغداد (337 هـ) ، محمد بودينة ، تونسيون في تاريخ الحضارات ، ط 1 ، منشورات محمد بودينة 1998 ، ص 209.

عاصمة له وقد خالف أجداده في سياسته التي اتسمت باللين والمهادنة وإظهار التعايش السلمي مع المذاهب المتواجدة في المنطقة وقد نجحت هذه السياسة إلى حد ما في الحفاظ على الهدوء والتقليل من الثورات والتي نالت إعجاب بعض المؤرخين منهم القاضي عبد الجبار الذي قال فيه: " كان محسنا لرعيته، فصيح اللسان، خطيبا، منصفاً، كما أنه وعد الناس بتغيير سياسته العامة ولا يسير على طريق والده وجده، أيضا عدم الاعتراض للمخالفين من المذاهب الأخرى ووفى بهذه الوعود التي قطعها"¹، كما أنهى ظاهرة سب الرسول (ص) والصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن حوادث وقعت بعد ذلك تؤكد أن ما قام به ليس عدلا بل لدواعي أمنية فلم تخلو فترة حكمه من التضييق والتكيل بأهل السنة كما عرفت فترة حكمه إعادة بسط نفوذ الدولة على جزيرة صقلية وعلى المغربين الأدنى والأوسط، توفي في شوال (341 هـ - 903م)².

* المعز لدين الله معد بن إسماعيل (341 - 362 هـ / 953_972 م):

ولد في المهديّة سنة (319 هـ _ 931 م)، عرف عنه الأدب ومحبه للعلوم تولى الخلافة وعمره اثنان وعشرون سنة، قال عنه قاضي بن نعمان: "نظر في كل فن وبرع في كل علم"³ سلك طريق التودد من المذاهب خاصة المذهب المالكي وسمح لهم بالتدريس وكتابة الوثائق على مذهبهم⁴ ومن حسن تعامله معهم كان يؤذن في عهده بأذان أهل السنة ولكن سلوكه مراعاة للظروف وليس عن قناعة وهذا لم يغير من رأي المالكية في العبيدين بل كانوا حذرين في تعاملهم معهم لما ألفوه منهم من الخداع والتقلب ومن انجازاته بسط نفوذه على المغرب الإسلامي حتى ناحية الأوراس وقضى على جموع هواره قائده بلكين بن زيري بن مناد الذي وصل إلى حدود المحيط و هناك قضى على الشاكر بالله بن راسول صاحب

¹ - القاضي عبد الجبار، أبو الحسن بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الجليل بن عبد الله (ت 415هـ) ، تثبت دلائل النبوة، تح عبد الكريم عثمان ،دار العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، ج 1 ص 602.

² - إدريس الداعي، المصدر السابق ص 511.

³ - القاضي النعمان، المصدر السابق ، ص 148.

⁴ -المصدر نفسه ص 365.

سجلماصة وأحمد بن بكر¹ صاحب فارس إلا أن هذه السيطرة لم تدم طويلا حتى ثار ضدهم العباسيين والقبائل البربرية خاصة قبيلة زناتة الذين استعادوا المناطق ثم توجه طموحه إلى احتلال المشرق فأرسل حملة إلى مصر قادها جوهر الصقلي وسيطر عليها وأسس مدينة القاهرة وبنا جامع الأزهر وانتقل المعز إلى مصر سنة (362 هـ) وترك ولاية المغرب إلى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي².

ثالثا: فشل السياسة العبيدية في القضاء على المذهب المالكي.

فشلت الدولة العبيدية في سياستها الاقصائية الاستتصالية الحاقدة في القضاء على المذهب المالكي وعلمائه وأهله ومحو ميراثه وإزالته من الوجود في الغرب الإسلامي فلم يستسلم المذهب ولم يتخل عنه أهله ولم يخرج عن رسالته بل بقى المذهب صامدا متصديا إلى آخر المطاف³ يقول الدكتور علي محمد محمد الصلابي: " ومع ذلك فان هذه الفتنة لم تزد أهل الشمال الإفريقي إلا عزيمة وصبرا واحتسابا وتمسكا بأصول أهل السنة والجماعة"⁴.

وخلاصة الفصل نؤكد أن الدولة العبيدية لم تكن تنتسب إلى البيت العلوي لأن الأدلة الأقوى تبطل هذا النسب وإذا كانوا قد تستروا بالبيت العلوي فان عقيدتهم وتوجههم وحتى سياستهم وإظهارهم التشيع الفاسد قد أكدت فساد عقيدتهم ومعاداتهم للدين السليم والفتنة السليمة حتى وإن غيروا سياستهم إلى اللين فهذا حفاظا على مصالحهم وليس لصالحهم، ليدرك المعز أخيرا استحالة فرض مذهبهم على أهل المغرب الإسلامي فشد الرحال إلى المشرق (مصر).

¹ - الجذامي , أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز (ت م 289 هـ) , أحمد بن خالد السلاوي , الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى , تح جعفر الناصري و محمد الناصري , دار الكتاب , الدار البيضاء , ج 1 , ص 245.

² - ابن الأثير , المصدر السابق , ج 7 ص 223.

³ - بشير بويجرة علي الشريف , جهاد فقهاء المالكية و أساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية في المغرب الإسلامي , مجلة المشكاة , العدد 17 , جامعة الزيتونة , تونس.

⁴ - محمد محمد علي الصلابي , الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي , مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع , تونس , ص 25.

الفصل الثالث: الصراع بين المذهب المالكي والمذهب الإسماعيلي.

المبحث الأول : أسباب الصراع بين المذهب المالكي و المذهب الاسماعيلي.

المبحث الثاني: موقف علماء المالكية من العبيدين.

المبحث الثالث: المقاومة المالكية للعبيدين.

المبحث الرابع: المقاومة المالكية للوجود العبيدي بالمغرب الإسلامي (الثورات)

تمهيد:

ما لاحظته العلماء و عامة الناس في بلاد المغرب الإسلامي من انحراف عقائدي لدى الوافدين الجدد على المنطقة و مدى تحريفهم للدين , أكد لهم أن غاية الإسماعيلية هي ضرب الإسلام و القضاء عليه و إبعاده عن الأصول السنية الصحيحة و رغم محاولتهم التستر تحت غطاء التشيع لأهل البيت إلا أن انحرافهم قد انكشف لأهل المغرب و اتضحت أكثر بعد قيام الدولة العبيدية و نشرها لمعتقداتها الفاسدة, فما كان من سكان المنطقة إلا الرفض القاطع لهذا التواجد و ترتب عنه رد فعل كان أبرزه صراعا على عدة وجوه و أصعدة و هذا ما نحاول الوقوف عليه في هذا الفصل من خلال محاولة إبراز أبواب هذا الصراع و مختلف صوره و ردود أفعال علماء و فقهاء المالكية في بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الأول: أسباب الصراع بين المالكية والإسماعيلية.

أهم أسباب الصراع بين المذهبين هو الاختلاف في مسائل فقهية كبيرة وهو اختلاف في الأصول وليس في فروع الدين وكذا خالفت الإسماعيلية كل جماعة المسلمين في الأصول ولعل أبرز الخلافات والتي كانت سببا جوهريا في الصدام بين المذهبين هي:

أولا: أسباب عقائدية:

- ادعاء أئمتهم الألوهية والنبوة¹، فقد ادعى عبيد الله المهدي الرسالة عند وصوله القيروان كما ادعى سعد بن إسماعيل النبوة، ولم يتوقفوا عند هذا الغلو بل ادعى بعضهم الألوهية، كما غيروا القبلة إلى المهديّة، وقالوا بتناسخ الأرواح، هذه الكبائر لم تلق قبول العامة من أهل المغرب وكذا علمائها.

- الطعن في زوجات الرسول خاصة عائشة وحفصة كما سب أصحاب رسول الله (ص) واتهموا زوجات النبي بغيض علي، يقول أكبر مراجعهم باقر المجلسي²: "عقيدتنا في التبري أننا ننبرأ من الأصنام الأربع: أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ومن النساء: عائشة وحفصة وأم الحكم وهند ومن جميع أشياعهم وأتباعهم وأنهم شر خلق الله على الأرض"³. وحكم فقهاء المالكية في الطعن في زوجات الرسول (ص) عن مالك بن أنس قال: " أنه قال من سب أبا بكر خائن ومن سب عائشة قتل، قيل له: لما قال لأنه خالف القرآن " استنادا إلى تبرئة القرآن لعائشة من حادثة الإفك⁴.

- سب الصحابة⁵: كان دأب الإسماعيليين سب صحابة رسول الله وإظهار ذلك علنا والطعن في إسلامهم وزعموا أن الصحابة قد ارتدوا بعد وفاة الرسول (ص) وعندهم جميع الصحابة ارتدوا إلا المقداد

¹ - ابن عذارى ، المصدر السابق، ص 162.

² - محمد باقر المجلسي هو أبو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي الأصفهاني، رجل دين وفقيه ومرجع ومحدث شيعي إمامي اثنا عشري، الصلابي ، المصدر السابق، ص 104.

³ - عبد الله شبر، حق اليقين في معرفة أصول الدين، ط1، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان 1418 هـ ج 1 ، ص 512.

⁴ - القاضي عياض، المصدر السابق، ص 493.

⁵ - ابن تيمية، حكم سب الصحابة، المطبعة الفنية ، القاهرة ، مصر، 1398 هـ _1978م، ص 12.

بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي ومنهم من يضيف عمار بن ياسر وحذيفة ابن اليمان وعمر بن الحمق ويستدلون على ذلك بقوله تعالى "فان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم"¹ قال الأستاذ إحسان الاهی ظهير²: فهذه هي عقيدة القوم من أولهم إلى آخرهم، دين الشتائم والسب فلم يكتفوا بسب أصحاب رسول الله بل كفروا أغلبهم. و زادوا عن ذلك السب العلني في الأسواق. هذه الأفعال منافية للدين فقد أجمع جمهور علماء المالكية على أن الصحابة عدول لا يجوز للمسلم أن ينتقضهم لهذا أفتوا بجلد من سب الصحابة حتى يتوب عن فعلته أو يسجن حتى الموت، أما من كان مستحلاً ذلك فهو كافر. قال ابن تيمية: "من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله (ص) إلا نفراً قليلاً لا يبلغون عشر أنفس أو أنهم فسقوا كافة فهذه لا شك في كفره"³، وقد استحل العبيدين سب الصحابة لهذا أفتى علماء المالكية بقتلهم.

— دعوتهم للإباحية وتعطيل الشرائع: فقد استحلوا الزنا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وإفطار شهر رمضان وجأهروا بذلك في الأسواق وانتهاك العرض والحرمات وهذا مناف لما عهده المسلمون وهذا ما دفع فقهاء القيروان للإفتاء بعدم جواز الدخول في مذهبهم لأنهم زنادقة ومرتدون عن الإسلام.⁴

—المخالفة في العبادات:

* الصلاة: أضافوا بعد (حي على الصلاة) (حي على خير العمل) واسقطوا من آذان الفجر (الصلاة خير من النوم) كما قالوا بوجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول كل سورة، بينما عند المالكية بأنهم لا يفتتحون بالبسملة في الفريضة، كما خالف العبيدين المالكية في التسليم بتسليمتين بدل

¹ - سورة آل عمران، الآية 144.

² - إحسان الاهی ظهير ابن ظهور الاهی بن أحمد الدين بن نظام الدين أطاف : عالم دين و مفكر و كاتب إسلامي مسلم باكستاني (1941_1987) ، مجلة الجندي المسلم ، العدد 105.

³ - ابن تيمية، المصدر السابق، ج 6 ص 104.

⁴ - القيرواني، عبد الله أبو محمد بن عبد الرحمن ابن أبي زيد (ت 386 هـ)، النوادر والزيادات ، تح محمد الأمين بوخيزة ، دار الغرب الإسلامي، ج 2، ص 298.

واحدة، كما منعوا صلاة الضحى وهي سنة مستحبة عند المالكية، صلاة الظهر والعصر بوقت واحد، كما منعوا صلاة التراويح في رمضان.¹

*الصيام: خالف العبيديون عموماً السنة واستبدلوا الصيام برؤية هلال رمضان بالحساب الفلكي كما قالوا بوجوب إفطار المسافر وإذا صام وجب عليه القضاء.²

* الزكاة: تدفع لأئمتهم وهم يصرفونها في أوجهها ونفوا دفعها لمن تولى المسلمين من غير أئمتهم وكل هذا من أجل تحصيل المال بغير وجه حق، واستحلوا أموال المسلمين ونهبها.³

المبحث الثاني: موقف علماء المالكية من العبيديين.

أولاً: العلماء الذين تشرقوا وصاروا ضمن فريق العبيديين.

هناك قلة من الذين تبعوا العبيديين إبان دخولهم المذهب الإسلامي وأسباب أغلبها دنيوية مثل أبو عبد الله الكندي المعروف بابن اللقطة وفي وصفه قال الخشني: "وكان عراقياً منذ القدم"⁴ ومن تشرقوا أيضاً أبو ريدة بن خلاد الذي كان أول من ترك المالكية وتشيع للعبيديين وأوصى بجميع أمواله للسلطان حين وفاته بل كان بعضهم أشد غلو بعد تشيعهم كزرارة بن أحمد الذي وولي قضاء المهديّة وكذلك ابن عازي الذي صدقت فراسة الصدي في فيه إذ قال فيه: ليس يموت على الإسلام، كما تبع العبيديين البعض الآخر رغبة في السلطة والحكم وطمعا في المناصب مثل إسحاق ابن أبي المنهال الذي ولي قضاء صقلية ثم القيروان وهو الذي قام بسجن ابن اللباد عندما رفض الصلاة خلفه. ومن الفقهاء الذين تشرقوا أيضاً قاسم بن خلاد الواسطي وجعفر بن أحمد بن وهب وأحمد بن بحر الذي تولى مظالم القيروان ثم

¹ - القاضي عياض، تراجم أغلبية، تح محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس 1969، ج 2، ص 276.

² - الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأسدي الأنصاري (ت 699هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ج 2، ص 49.

³ - ابن تيمية، المصدر السابق، ج 4، ص 294.

⁴ - الخشني، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم المغربي (ت 333هـ)، طبقات علماء إفريقية، الطبعة 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص 292.

طرابلس(٠) وهناك فئة أخرى تبعت العبيدين من أجل الحصول على الوظائف مثل ابن البرذون ومثله أبو بكر بن سليمان اللذان تشرقا من أجل العمل ككتاب وهذا لأن العبيدين لا يقبلون في هذه الوظائف إلا المواليين لهم وهذا أسلوبهم في نشر مذهبهم والتطبيق على المذاهب الأخرى. وكان الهدف من الحصول على هذه الوظائف جمع الأموال والاستيلاء على خيرات العلماء مثل ما حدث مع أبو سعيد المعروف بالوكيل الذي كان من أهل الحديث وكان من أهل الرزق والمال، استولى العبيديون على ماله وثروته بعد موته. وهناك من تشيع لضعف شخصيته وخوفه من بطش العبيدين ومن أشهرهم أبو حنيفة النعمان (363 هـ - 974م)¹ وفيه قال ابن خلكان²: "وكان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهبه الامامية" وقد خدم العبيدين وتقلد عدة مناصب في دولتهم كالإمامة والخطابة نيابة عن المهدي وعن قاضي القضاة على جميع أعمال افريقية، عاصر ثلاث أئمة عبيدين هم المهدي وولده المنصور والمعز الذي رحل بالدولة إلى مصر وبها توفي القاضي النعمان خلف الكثير من المؤلفات التي تعتبر عمدة في التاريخ والعقائد الإسماعيلية ومصادر رئيسية للتعرف على المذهب الإسماعيلي³.

ثانيا: الفقهاء الذين تعاطفوا مع الإسماعيلية:

ظهر قسم من الفقهاء من أهل المنطقة ورغم بقائهم على سنيتهم وتمسكهم بالمذهب المالكي إلا أنهم أظهروا تساهل وتعاطف مع حكم العبيدين ومعتقداتهم وهذا ما عرضهم للمقاطعة والترك من قبل العامة وعلماء البلد، ومن بين هؤلاء، أبو عثمان سعدون بن أحمد الخولاني وقيل أن عبيد الله دعاه فذكر له أحاديث في فضل علي فأكرمه وكان يأتيه في التعازي والتهاني مسaire له، كما كان عبيد الله يرسل له الأضاحي والهدايا فيقبلها عنه ويوزعها على المحتاجين ومنهم أيضا البرادعي الذي كان منبوذا عند أهل القيروان حتى أن الفقهاء أفتوا بعدم الأخذ عنه وعدم قراءة كتبه وفيل أن سبب ذلك تأليفه كتاب يصحح فيه نسب العبيدين وأن لهم حقا في الإمامة رغم أن هناك إجماع في ذلك الوقت بعدم إلحاق

¹ -المصدر نفسه، ص294.

² -ابن خلكان، المصدر السابق، ج 5، ص 46

³ - القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 6.

العبيدين تنسب البيت الشريف بيت رسول الله (ص) ومن بينهم أيضا أبو إسحاق إبراهيم حسن التونسي الذي كان موقفه: بأن هناك فئة من الإسماعيليين يزوجون ويورثون ولا يسقط عنهم الإسلام وهم الذين يفضلون علي رضي الله عنه عن باقي الصحابة وفئة قليلة فقط تستحق القتل، وهذا كان سببا في نبذه من فقهاء المالكية وتركه ومقاطعته.¹

وهناك أيضا أبو جعفر بن محمد خيرون المعافري الأندلسي قيل أنه ألف لعبيد الله كتاب "نسب الشيعة وأخبارهم"² والذي قتل في الآخر على يد العبيدين بسبب وشاية من ابن المروزي بعد تعذيب ودهس بالأرجل منهم ولهذا نجد علماء المالكية حرصوا على مقاطعة كل هؤلاء المساهيل وذلك حرصا على البقاء صفا واحدا وعدم التراجع لأن الظروف لا تسمح بالترقب.³

ثالثا: الفقهاء المعادون للسلطة العبيدية:

* الفقهاء الذين اعتزلوا الوضع والتزموا الصمت:

بسبب ما تعرض له العلماء من المالكية واضطهاد العبيدين لهم فضل البعض منهم اعتزال الوضع تجنباً للفتنة وخوفاً على حياتهم بينما فضل البعض الآخر مقاطعة الدولة ورفض التعامل معها وانعزل البعض الآخر عن الحياة العامة ومنهم أبو عبد الله البرانسي (357 هـ _ 968 م)⁴ الذي أثر الصمت بسبب السياسة الفاطمية وفسادها العقائدي فكان يقضي رجب وشعبان ورمضان صامتا فيما فضل البعض الخروج من المدن هربا من الفتنة التي أملت بالبلاد وهذا ما فعله محمد بن يونس بن محمد الورداني

¹ - المالكي , المصدر السابق, ص 260_261.

² - أبو جعفر محمد بن محمد خيرون المعافري الأندلسي (726 هـ _ 1325 هـ), قد تثنى عليه الخناصر وصدر لا يحصر فضائله حاصر, الدباغ , المصدر السابق , ص 160.

³ - القاضي عياض , المصدر السابق, ص 58.

⁴ - البرنسي, من الفقهاء الذين آثروا الصمت كان يقضي شهورا صامتا حتى أنه لا يرد السلام إلا إشارة, و هو أحمد بن أحمد محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس زروق (ت 899 هـ), علي فهمي خشيم , أحمد الزروق و الزروقية, المدار الإسلامي, بيروت, لبنان, ص 11.

(207 هـ __ 822 م)¹ الذي كان يخرج إلى الوديان وسفوح الجبال لرعاة الأبقار ولا يعود إلا ليلا لا يكلم الناس حتى مات، وهذا نفس مافعله ابن المنظور (337 هـ __ 949 م)² الذي اعتذر للمهدي على محاولة توليه قضاء القيروان في فضل البعض الآخر المهجرة فرارا من العبيدين منهم أبو عبد الله محمد الترهاتي (313 هـ __ 925 م)³ والذي هرب من تهرت إلى سوسة وأقام بضواحيها في أماكن للزهاد وطلبة العلم وآخرون اعتزلوا أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني (402 هـ __ 1011 م)⁴ الذي كان معادي للعبيدين وفضل العزلة وعاش بتلمسان حتى توفي، كما توجه البعض إلى الحواضر ذات الحكم السني في المغرب أو المشرق أمثال فضل بن سلمى بن جرير الجهني البجائي (319 هـ __ 931 م)⁵، وهناك من قصر الأندلس كأحمد بن الفتح المليلي (332 هـ __ 943 م)⁶ المدعو الخزاز وبهذا فقدت البلاد جراء هذه المهجرة فقهاء وعلماء كان لهم وزن وقيمة وإضافة لتطور الحياة العلمية بالمنطقة لولا الظروف التي حتمت عليهم.

¹ -الورداني، كان كثير الملازمة لسحنون وهو من أهل العلم والفضل والورع، لم يذكر كثيرا لاعتزاله الناس وهو أبو محمد يونس بن محمد الورداني، (ت 300 هـ)، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، مج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص618.

² -ابن المنظور: أصله من الأندلس رحل إلى الشرق ولاءه إسماعيل بن أبي القاسم قضاء القيروان بعد ثورة ابن يزيد، الذهبي، المصدر السابق ج7، ص710.

³ -عبد الله محمد الترهاتي (ت 313 هـ) انتقل من تاهرت بالمغرب الأوسط إلى مدينة سوسة هربا من المتابعات ليقوم في أطراف المدينة مع الزهاد وطلبة العلم والمجاهدين، علي محمد الصلابي، المصدر السابق، ص176.

⁴ -الداودي التلمساني: أصله من المسيلة، سكن بطرابلس، له عدة مؤلفات منها (كتاب الإيضاح في الرد على القدرية وكتاب الأصول)، (ت 402 هـ)، القاضي عياض، المصدر السابق، ج7 ص102.

⁵ -فضل بن سلمة بن جرير الجهني البجائي (ت 319 هـ) فقيه وعالم، ألف مختصر المدونة واختصر الواضحة واختصر الموازية، الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص149.

⁶ -المليلي: هو أحمد بن الفتح المعروف بالخرزاز (ت 332 هـ) كان قاضيا على مليلة وفر إلى الأندلس سنة 325 هـ هربا من بني عبيد، تولى القضاء بنواحي قرطبة حتى توفي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الفريسي (ت 403 هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تح عزت العطار، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1988 ج1، ص75.

* الفقهاء المناهضون للحكم العبيدي (المقاومة العلمية):

وهذا درب غالبية العلماء وفقهاء المالكية المناهضين للحكم العبيدي بالمنطقة فاستمت مواقفهم بالثبات وعدم المهادنة مع الإسماعيليين مع تبيان حكم الشرع فيهم والتصريح به رغم ماتعرضوا من تضيق وتعذيب فتحملوا الأذى والسجن والقتل لم يمنعهم ذلك من المجاهرة بعقيدتهم وإجماعهم وتصريحهم بكفر وضلال العبيدين ففي رأيهم هؤلاء مرتدين وزنادقة بما أظهروه من مخالفة للشريعة ومن هؤلاء ابن البرذون وابن هذيل اللذان قتلا سنة (207 هـ - 822 م) قيل لما جر ابن البرذون للقتل قال لها الحسن بن أبي خنزير: أترجع عن مذهبك؟ فقال له: أعن الإسلام تستيني؟ فقتلوه، وكذلك أبو بكر محمد بن أحمد بن سهر المعروف بابن النابلسي (363 هـ - 974 م)¹ الذي قيل له لما دخل مصر حمدا على سلامتك، قال له الحمد لله على سلامة ديني وسلامة دنياك.

ومن أساليب المقاومة الحرص على تعليم العامة دينهم وتوعيتهم ونشر العلم معارضين بذلك أوامر العبيدين وفتحوا بيوتهم للتدريس بعد أن منعتهم الإسماعيلية من التدريس في المساجد وعملوا على فضح تحامل الإسماعيلية على العامة وتضليلهم ومن بين هؤلاء ابن اللباد (333 هـ - 944 م)² وكذلك تلميذه أبي اليزيد (306 هـ - 918 م)³.

¹ - ابن النابلسي: هو أبو بكر محمد ابن علي النابلسي فقيها مالكيًا زاهداً، كان ذاماً لبني عبيد منفراً للعامة منهم قتله العبيديون سلخاً وصلب جسده وأثناء سلخه كان يقرأ القرآن ويرتل بصوت قوي، مادي لخضر الصراع العبيدي المالكي في الغرب الإسلامي 4هـ - 6هـ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف 2023/ 2024.

² - ابن اللباد أبي بكر محمد بن محمد بن وشاح مفتي المغرب (250 هـ / 333 هـ، 863 م / 944 م)، جهاد الفقهاء المالكية، و أساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية، بشير بوجرة علي الشريف، جهاد فقهاء المالكية، مجلد 11، العدد 3، ديسمبر 2020، ص 118_133.

³ - أبي يزيد القيرواني: هو تلميذ ابن اللباد 386 هـ، أهم مؤلفاته: تعليم الصبيان وكذلك كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، كان عالماً وفقهياً وشارحاً لأصول الدين، الصراع المذهبي في المغرب الإسلامي خلال القرنين 6هـ - 7هـ / 12م - 13م لسليمة بن حسن، مخبر الدراسات في التاريخ و الثقافة و المجتمع، جامعة باتنة 1، تاريخ النشر 2024/06/22.

كما برز فقهاء آخرون حملوا لواء المناظرة والمساجلات المبنية لزيف العقيدة الإسماعيلية والدفاع عن منهج أهل السنة ومن أبرز هؤلاء في هذا المجال عثمان بن حداد (302 هـ _ 914 م)¹ وابن التبان (371 هـ _ 981 م)² كما جاهد بعضهم في سبيل الله وعقيدتهم بأموالهم وأنفسهم وتركوا العدو الخارجي وتوجهوا للعدو الداخلي الأكثر خطرا على العقيدة والبلاد لأنه مزيف للدين ومحرّف للعقيدة ومن هؤلاء بن محمود الصدي (297 هـ _ 910 م)³ الذي نزل للقيروان ليحرص المسلمين من عدو أصبح بينهم وكذلك محمد بن عبد الله السدري (309 هـ _ 920 م)⁴ الذي واجه عبيد الله المهدي وأخبره ما يعتقد فيهم لتتم تصفيته.

المبحث الثالث: المقاومة المالكية للعبيديين.

أولا: الإجماع على تكفير بني عبيد.

استنادا إلى الموروث المذهبي لأهل المنطقة القائمة على طريق المذهب المالكي، أجمع فقهاء المغرب على تكفير بني عبيد وظلالهم وخروجهم عن الملة الإسلامية وهذا مانقله القاضي عياض عن إجماع علماء القيروان ومنهم أبو محمد بن أبي زيد وأبو الحسن القابسي وأبو القاسم ابن شبلون وأبو علي ابن خلدون وأبو بكر الطبني وأبو بكر بن عذرة في قوله: "أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة مما أظهروه من خلاف الشريعة فلا يورثون بالإجماع وحال الزنادقة مما أخفوه من التعطيل فيقتلون بالزندقة"⁵.

¹ - عثمان بن حداد , أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح بن الحداد الغساني (ت 302 هـ) من تلاميذ ابن اللباد وابن سحنون، من أهم مؤلفاته (المقالات) كان عالم في النحو والتفسير وفقهه، الصلابي ، المصدر السابق، ص 79.

² - ابن التبان : أبي محمد عبد الله بن إسحاق القيرواني (311 هـ / 371 هـ _ 923 م / 981 م) كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين، القاضي عياض، المصدر السابق، ج 7، ص 2770.

³ - الصدي ، أبو يوسف جبلة بن محمود بن عبد الرحمن ، كان من أشد الناس على أهل البدع، القاضي عياض ج 4 ص 471 _ 478.

⁴ - السدري، محمد ابن عبد الله (ت 309 هـ) من الذين عقدوا الجهاد على بني عبيد والذين قتلوه لآرائه ضدهم، الصراع المذهبي في المغرب الاسلامي خلال القرنين 6هـ-7هـ/12م-13م لسليمة بن حسن ، جامعة باتنة 1 ، تاريخ النشر 2024/06/22 ، المصدر السابق.

⁵ - القاضي عياض، المصدر السابق ج 7، ص 277.

وفي هذا السياق قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأخبارهم عن العلماء مشهورة بالإلحاد والمحاداة لله ورسوله والردة والنفاق"¹. وهناك من شدد أكثر في الحكم عليهم كأبوالقاسم الدهان الذي اعتبرهم كفارا، كما اعتبروا كل من دخل في مذهبهم حال المرتد عن دينه، كما نهي الفقهاء التظاهر بالدخول في مذهبهم بداعي الخوف أو حفظا لنفسه.

ثانيا: مواجهة العبيدين وتثبيت العامة للصمود أمامهم.

واجه فقهاء المالكية بن عبيد بكل شجاعة وقرروا عدم الفرار ليكونوا قدوة لعامة الناس لأن مصير الأمة مرهون بصمودهم ومن بينهم السبائي (356هـ _ 767 م)² ومحمد بن نصر الداودي التلمساني (402هـ _ 1011م) الذين وقفوا ضد كل من دعا إلى ترك البلاد كأحمد بن نصر الداودي التلمساني الذي أنكر على علماء القيروان الإقامة مع العبيدين فكانت إجابتهم "أسكت لا شيخ لك"³ وأن حالة بقائهم هناك تثبت لعامة الناس وهذا ما أفتى به الفقيه أبو محمد الكرائي⁴ أي الإقامة مع العبيدين ومقاومتهم حتى لا يخلو الغدر بالمسلمين ولم يقف الفقهاء عند الفتوى فقط بل طبقوها على أنفسهم ويتضح ذلك في رد ابن البرذون⁵ وقوله: "أعن الإسلام نستثنى" وهو على مشارف الموت عندما هم ابن خنزير بإعدامه وطلب منه الرجوع عن قوله في مسألة التعطيل بل رفض ذلك أمام العامة وفضل الموت عن الرجوع عن دينه.

¹ -ابن تيمية ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 101.

² - القاضي عياض، المصدر السابق، ج 6 ص 57.

³ - المصدر نفسه ، ج 7 ص 102.

⁴ - أبو الوليد الباجي ، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي، (ت 474 هـ)، فقيه مالكي، رياض النفوس في طبقة علماء القيروان وإفريقية، تح بشير البكوش ط1 ، مكتبة النهضة المصرية، ج 1، ص 332.

⁵ -ابن البرذون: يقصد هنا إبراهيم بن محمد المعروف بابن البرذون وهو من أوائل من ضل من بني عبيد رافقه ابن هذيل بعد ثباته عن الحق ضد العباس المخطوم ، الذهبي ، المصدر السابق ، ج 14، ص 59.

ثالثاً: المقاطعة الدينية والسياسية للدولة العبيدية.

كما اعتمدت السنة مقاطعة المؤسسات وأجهزة الدولة العبيدية فلا يختصمون إلى قضائهم ولا يحضرون احتفالاتهم الرسمية وحتى قاطعوا الصلاة خلف أئمتهم حتى أن بعضهم يقصد المسجد يوم الجمعة وإذا وصل رجع إلى داره ومثال عن هذه المقاطعة ما فعله جبلة بن محمود الصدي (297هـ-567م)¹ الذي حضر أول جهة خطب فيها أبو عبيد الله بجامع القيروان حيث كشف عن رأسه حتى يعرفه عامة الناس وخرج من المسجد مردداً " قطعوها قطعهم الله " فصار على نهجه أهل السنة في مقاطعة الصلاة خلف أئمة العبيدين، كما دعوا إلى مقاطعة جنائزهم وقاطعوا كل صلة أو هبة تأتي منهم ومن أشكال المقاطعة رفض دفع الضرائب ومقاطعة النظام المالي³ كما فعل الداودي (402 هـ - 1011م) في كتاب " الأموال " وهو الكتاب الذي يعالج القضايا المالية والاقتصادية في المغرب الإسلامي وشملت المقاطعة أيضاً كل من يتعاطف معهم أو يتقايس في الطعن فيهم مثل ما حدث مع الفقيه خلف أبو القاسم البرادعي الذي كتب في تصحيح نسب العبيدين ووجد بيت يمنحهم فيه كما كان يقبل هداياهم فأمر الفقهاء بطرح كتبه وعدم التلقي عنه ومقاطعته أما ابن خيرون فقليل أنه كتب كتاب في نسب الشيعة وشملت المقاطعة حتى من كان صحيحاً في بعض ما ذهب إليه في بعض الأمور مثل مقاطعة فقهاء المالكية لأبي إسحاق التونسي (443هـ-1051م)⁴ الذي أفتى بأن الشيعة على نوعين، النوع الأول كافر دمه مباح ويجوز ضربه والنوع الثاني الذي يقولون بتفضيل علي على باقي الصحابة فلا يجوز تكفيرهم ورغم أن ما

¹ - محمد الصدي: هو أبو يوسف جبلة ابن حمود ابن عبد الله الصدي كان من أشد الناس على أهل البدع، القاضي عياض ، المصدر السابق، ج 4 ص 471-478.

² - المصدر نفسه، ج 4 ص 376.

³ - إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع على عقيدة أهل السنة ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا. 1426 هـ، ص 323.

⁴ - أبو إسحاق التونسي ، إبراهيم ابن حسن ابن إسحاق التونسي، فقيه وعالم ومحدث (ت 434 هـ) ، القاضي عياض، ج 8 ص 58.

ذهب إليه ابن إسحاق صحيح في هذا الباب إلا أنه وجب عدم التساهل وفي هذا يقول الدباغ¹: "مع أن المطلوب سد هذا الباب حتى ولو كان صحيحا حتى تهرب العامة والخاصة من قريهم"²

رابعا: الوعظ وتعليم المواليين لبني عبيد سرا.

رغم التضيق الذي مارسه العبيدين على العلماء من منعهم التدريس في المساجد والإفتاء على مذهب الإمام مالك ومن تقليد الوظائف الرسمية ومصادرة مصنفاتهم هذا لم يمنعهم من فتح بيوتهم لتدريس ومحاربة عقيدة العبيدين الفاسدة والاستمرار في نشر العلم. وفي هذا يقول أبو إسحاق السبائي (356هـ - 968م): "افتحوا باب داري، نأخذ في ذمهم والتحذير منهم"³ وكذلك أبو بكر بن اللباد (333هـ - 944م) الذي كان الطلبة يأتونه سرا للأخذ عنه منهم ابن زيد وابن التبان ومعلقا على ذلك يقول المالكي: "وكانوا ربما جعلوا الكتب في أوساطهم وحجروهم حتى تبطل بعرقهم خوفا منهم على أنفسهم من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه"⁴ ومن العلماء من كان يتوارى بجائط المقبرة ليدي بعلمه لطلبته خوفا من بني عبيد ووشايتهم بعد أن منع من الدرس حتى بداره وكان العلماء يسعون في دروسهم التعريف بأكاذيب العبيدين وانحرافهم إضافة إلى دروس الفقه والشرعة التي كانوا يكثر في الثناء على الصحابة رضوان الله عليهم والدفاع عنهم بالحجج من الكتاب والسنة ومن الحيل أيضا التي لجأ إليها العلماء في الغرب الإسلامي تعليم أبناء البربر من الصنهاجيين والكتاميين خاصة من كان آبائهم مواليين للدولة العبيدية أو أعوان لها وذلك مجانا لاستمالتهم وتقريبهم إلى منهج أهل السنة ولخلق جيل سني على المنهج الصحيح.⁵

¹ -الدباغ، المصدر السابق، ج 2، ص 432.

² -المصدر نفسه، ج 3، ص 165.

³ -القاضي عياض، المصدر السابق، ج 6، ص 57.

⁴ -المصدر نفسه، ج 2، ص 287.

⁵ - المصدر نفسه، ج 2، ص 521.

خامسا: المناظرات الفقهية بين فقهاء المالكية والعبّيين.

الدفاع عن العقيدة وإبطال للبدع والضلالات التي جاء بها الشيعة عموما والإسماعيليين على وجه الخصوص حتم على علماء المالكية الخوض في الجدال والمناظرات لدحض آراء الخصم بالحجج والبراهين والتي كانت لها أثرا ايجابيا على العامة من سكان المغرب الإسلامي ذلك بأنها ساهمت في نشر الوعي بالدين ومعرفة ضلالات العبّيين وكانت هذه المناظرات في (مجالس الحكمة) يحاول عبّيد الله المهدي أن يواجه السنّيين ويجادلهم محاولا التأثير وإرهاب العلماء بحكم مكانته وممن حدى حدوه الداعي أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس كما ذكر القاضي النعمان أنه كلف بتولي تلك المجالس في زمن المعز والغرض من ذلك نشر العقيدة الإسماعيلية وقد برز في الجانب السنّي عديد فقهاء الدين دافعوا عن الإسلام من الأباطيل والدجل الذي أدخلته الباطنية رغم ماتعرضوا له من مضايقات واضطهاد من بينهم عثمان سعيد بن الحداد (302هـ - 914م)¹ قال عنه الذهبي: "له مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدفاع عن الإسلام والذب عن السنة ناظر فيها أبا العباس المعجومي أخا أبي عبد الله الشيعي"². وفاقته مناظراته الأربعين مجلس تميز فيها بالشجاعة ومن بينهم أيضا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد حسين الضبي ويعرف بالبرزون (297هـ - 1050م) وكان من أقوى الشباب في المناظرة والرد عن المخالفين في زمانه ومنهم محمد الرقادي³ (316هـ - 928م) الذي قال عنه الخشني: "كان حادا حادقا بصير لحدود المناظرة، حاضر الجواب، مليح المناظرة وألف كتب كثيرة في ذلك"⁴ وكذلك أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني (386هـ - 997م)⁵ لقبه الذهبي (مالك الصغير) وقال عنه: "كان ذابا عن مذهب مالك قائما بالحجة

¹ - ابن الحداد، عثمان سعيد بن محمد بن صبيح بن حداد الغساني (ت 566هـ) من تلاميذ ابن اللباد وابن سحنون، كان فقيها وعالما في النحو والتفسير و الأنساب، الذهبي ، المصدر السابق ، ج14، ص 206.

² - القاضي عياض، المصدر السابق ، ص 355.

³ - محمد الرقادي القيرواني (ت 316هـ) وهو فقيه مناظر نشأ أيام الحداد ، الخشني، المصدر السابق ، ص 284.

⁴ - الذهبي، المصدر السابق ، ج 14 ص 206.

⁵ - القيرواني، المصدر نفسه، ج 17، ص 10.

عليه بصيرا بالرد على أهل الأهواء¹ وكذلك ابن التبان (371هـ-981م) عالم القيروان قال فيه القاضي عياض: "فربت إليه آباط الإبل إلى الأمطار لذبه عن مذهب أهل المدينة وكان حافظا بعيدا عن التصنع والرياء فصيحاً"².

سادسا: حركة التأليف للرد على العبيدين.

اعتبر تصنيف الكتب حول الأفكار والمعتقدات التي جاء بها العبيدين إحدى الطرق لمقاومة المد الشيعة في بلاد الغرب ولنشر حكم الشرع على منهج أهل السنة والجماعة ومن هذه المؤلفات كتاب (الإمامة والرد على الرافضة)³ لإبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (359هـ-970م)⁴ وفيه نقد لأقوال العبيدين وكلفه ذلك ضرب سبع مئة سوط وحبس أربع أشهر كما ألف ابن سعيد عثمان بن الحداد كتاب عنوانه (المقالات) شمل الرد على جميع المذاهب والفرق وخاصة الرد على المذهب الإسماعيلي وورد ابن اللباد عليهم في موضوع العصمة لأئمتهم في كتاب (إثبات الحجة في إثبات العصمة للأنبياء) وكتاب (عصمة النبيين) وكتاب في فضائل أهل البيت ألفه ابن التبان وكتاب (المنقذ من شبه التأويل) وكتاب (الاعتقادات) لأبو الحسن القابسي رد فيهما على قول العبيدين بالعلم الظاهر والتأويل الباطن للقرآن، كما دافع عن المذهب المالكي وعن صحابة رسول الله ابن يزيد القيرواني في كتاب الاقتداء بأهل المدينة دفاعا عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس، كما ألف في فضله ابن العباد كتاب (فضائل مالك).

¹-المصدر نفسه ج 14 ص284.

²- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 6 ص 248.

³-الخشني، المصدر السابق، ص 284.

⁴-القلانسي هو أبو إسحاق عبد الله ابن إبراهيم الزبيدي محمد بن حماس بن مروان، الذهبي، المصدر السابق، ج 19، ص 496.

المبحث الرابع: المقاومة المالكية للوجود العبيدي بالمغرب الإسلامي (الثورات).

أولاً: المقاومة المسلحة في المغرب الأدنى.

ثورة الأغالبة في القصر القديم.

بداية هذه الانتفاضة كانت مناوشات بين أحد الكتاميين. وناكر من أهل القصر القديم¹ أدت إلى إخراج الكتاميين من القصر وإغلاق أبوابه خلفت إصابات لدى دعاة الشيعة واستنجد الأغلبية بأهل القيروان والتف الباقي من أتباع عبد الله الداعي الذي قتله عبيد الله المهدي رغم أنه خادمه وصاحب دعوته في الغرب الإسلامي، التفوا حول أبو الحسن بن أبي الحجر وثاروا على عبيد الله وحكمه في محاولة للانقلاب على الحكم العبيدي واستمر هذا العصيان أياماً أمر فيها المهدي بقتل كل من شارك في هذا العصيان وتعليق رؤوسهم على أبواب رقادة² وظل ما بقي منهم في السجن حتى ولاية المنصور الذي أطلق سراحهم ونفاهم إلى مصر وبذلك كانت هذه أول انتفاضة تدل على رفض سكان المنطقة للوجود الشيعي العبيدي وما يحمله من أفكار مغايرة لعقيدتهم³.

ثورة سكان القيروان (299هـ _ 912م).

وهي ثورة الجماعة السنية على الكتاميين في مدينة القيروان ولقد لخص ابن عذري الحادثة على أنها كانت سبب وعد الداعي عبد الله للكتاميين بالسماح لهم بنهب القيروان عند الاستيلاء عليها ولكن عندما تم له الأمر منهم من ذلك فلم يعجبهم الأمر واستغلوا مقتله وأشعلوها وكانت بدايتها اعتداء رجل كتامي على أحد التجار من أهل القيروان حينها دافع أهل القيروان ودارت مقاتلات بينهم قتل فيها ما يقارب ألف رجل، كما قتل النعمان العبيدي سبعمائة رجل ولم تهدأ الأوضاع حتى تدخل ابن أبي خنزير

¹ - القصر القديم، مدينة المغرب الأدنى شرق القيروان أسسها إبراهيم ابن الأغلب، حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس ط 5، دار الجنوب للنشر، تونس العاصمة، 2011، ص 58_59.

² - القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 20.

³ - ادريس الداعي، المصدر السابق، ص 189.

والي العبيدين آنذاك¹ هذه الثورة لم يعطى لها عبيد الله أهمية لأنه كان منشغلا بإرساء قواعد الدولة واعتبرها مناقشات قام بمعاينة أهالي القيروان بغرامات مالية² ثم عاقبهم بعد في أموالهم³.

ثورة أهل طرابلس الغرب (300 _ 913 هـ / 1508_913م).³

لم تكن العناصر البربرية شرق القيروان متقبلة للوضع الجديد فقد انتفضوا قبائل هواة ولماية وزناتة بقيادة أبا هارون الهواري ضد الوجود العبيدي في بلادهم وحاصروا مدينة طرابلس ورد عليهم عبيد الله المهدي بجيش كبير بقيادة أبا زكي تمام بن معارك قمع فيها ثورتهم (297هـ _ 910م)⁴ كما عرفت المنطقة ثورة أخرى شارك فيها عناصر من الأغلبية مع سكان المنطقة سببها أن إلى المدينة بن ضارة أطلق يد الكتامين على الأهالي من السنة ولم تسقط المدينة إلا بعد أن قضى القائم بأمر الله العبيدي بالقضاء على قبائل الهواري الذين كانوا يمدون المدينة بالمساعدات ثم حاصر المدينة التي كانت صامدة مدة نصف عام لتسقط بعد ذلك وينتقم الوالي العبيدي من السكان بتغريمهم وقتل قادة الثورة ومصادرة أموالهم.

ثانيا: مقاومة قبائل زناتة بالمغرب الأوسط.⁵

زناتة من الحبر القبائل البربرية التي كان لها دورا كبير في الحياة السياسية لبلاد الغرب الإسلامي منذ بداية الوجود الإسلامي وكان مركز سيطرة القبائل الزناتية على الغرب الإسلامي ما بين تلمسان وتاهرت⁶ رغم أن لها انتشار في عدة مناطق بداية من الشمال من جبال طرابلس وضواحيها حتى المغرب الأقصى على حدود الأطلس وعبرت بعضها نحو الأندلس فقد كانت لها عديد البطون والفروع أشهرها

¹ - المصدر نفسه، ص 323.

² - المصدر نفسه، ص 223.

³ - طرابلس الغرب: مدينة بالمغرب الأدنى من أعمال برقة، تاريخ طرابلس الغرب (1890_1986) ، الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، القاهرة سنة 1349هـ، ص 221_231.

⁴ - إدريس الداعي، المصدر السابق ص 192.

⁵ - زناتة قبيلة بربرية وهم من أبناء شانا بن يحيى بن مولات بن مادغيس، ابن خلدون، المصدر السابق ص 85.

⁶ - تاهرت: مدينة في الغرب الجزائري تسمى الآن تيارت، ابن عذاري أبو عبد الله محمد المراكشي، بيان المغرب في أخبار المغرب، ط 1، دار الثقافة، بيروت، ج 1، ص 89_110.

قبيلة مغراوة وبني يفرن وجراوة¹ وقد كانت قبائل الزناتة سدا منيع أمام الوجود العبيدي منذ بدايته وظهر ذلك في عدة مواجهات على عدة مراحل كان لها أسباب كثيرة منها أسباب مذهبية فأغلب بطون الزناتة رفضت المذهب الإسماعيلي لأنها كانت متمذهبة بالسنة خاصة قبيلة (مغاورة) وبعضها بمذهب الخوارج وكلاهما يرفض الشيعة وماتحملة العبيدية من زيغ وضلالات، وهناك دافع قبلي فتناول (البرنسية) التي كانت تحت لواء العبيدين على قبائل البربر على قبيلة زناتة التبرية وهذا جعل كل الزناتين يتفقهون حول معاداة الاسماعلية واتفاقها على محاربتهم.

وأول صدام بينهم كان حين اعترض جماعة من الزناتيين على جماعة كانت قد بعثهم الداعي لحمل أموال إلى المهدي بسجلماسة وحين عودتهم برسائل من المهدي فثار الداعي لمقتل هؤلاء ومنذ سقوط الدولة الرسمية تبنى مقاومة الدولة العبيدية قبيلة زناتة التبرية بقيادة محمد بن خزر الزناتي الذي حاول السيطرة على تيهرت وقطع الطريق على العبيدين ولكنه قتل وبعد إرسال الداعي لموسى بن هارون على رأس مجموعة من الكتامين لصد ابن خزر ثم توالى ثورات الزناتة ضد العبيدين مما جعل الداعي عبد الله الشيعي إلى الخروج في حملة كبيرة سنة (298هـ - 910م) من أجل إخضاع القبائل الثائرة حتى تمكن لاحقا أبو زكي بن معارك من قتل الكثير منهم لهذا تراجعت القبائل الزناتية لبعض الوقت ثم عادت إلى الثورات اثر مقتل الداعي عبد الله وأخيرا أبا العباس وهذا ما جعل عبيد الله يرسل حملة أخرى كان فيها النصر للعبيدين ثم ثاروا من جديد على دواس اللهصي وأخرجوه من المدينة ونصبوا عليهم محمد بن خزر فأرسل عبيد الله مصالة بن حبوس المكناسي (299 هـ - 911م) على رأس جيش لقتالهم الذي استولى على المدينة وتراجعت القبائل الزناتية بسبب ما لحق بها من خسائر واستمر في حكمه للمنطقة حتى (312 هـ - 924م) ولم تتوقف مضايقة الزناتيين للعبيدين حتى في ولاية بن حبوس وكانت المعارك قائمة على الكر والفر رغم بقاء تيهرت تحت سيطرة الجانب الشيعي إلا أن الزناتيين قد بسطوا سيطرتهم على منطقة الزاب وإلحاق الضرر بحملات عبيد الله المهدي رغم الحملة التي أشرف عليها عبيد

¹ - ابن خلدون , المصدر السابق, ج7, ص 7.

الله المهدي القائم وقادها بنفسه سنة (315 هـ _ 927م) والتي مرت على عدة مدن أريس وبغاية وحوض الشلف وهوارة ولوالة حتى وصل إلى تيهرت وواجه جيش ابن خزر في حصن تامغات ثم رجع إلى المهديّة بعد إدراكه أن القبائل الزناتية لن تستسلم رغم أنها انسحبت إلى الصحراء بسبب النقص العددي ثم ثار سكان المدينة مرة أخرى سنة (323 هـ _ 934م) في زمن حكم ابن حبوس ومن بعده أبو مالك باغمراين بن أبي شحمة اللهيصي ونصبوا ابن مصالة أبو القاسم الأحذب الذي قتل بعد سنة وخلفه إبراهيم بن داود العجيسي الذي انتهى حكمه بهروب حميد بن يصل من السجن بعد فتنة صاحب الحمار واستيلائه على المدينة ليتغلب عليها محمد بن خزر ثم تغلب عليه بنو يفرن بقيادة يعلي بن محمد الذي استمر عليها في حمله جوهر الصقلي سنة (347 هـ _ 959م) وأخيراً يمكن القول بأن قبائل الزناتة لم تقبل الحكم العبيدي والمذهب الاسماعيلي منذ البداية والسبب الرئيسي لذلك هو الصراع المذهبي مع المذهب السني.¹

ثالثاً: ثورة أبي يزيد الخارجي (صاحب الحمار)² ومشاركة سكان الغرب الإسلامي فيها (332 _ 336هـ / 943_947م).

استمرت المقاومة السنّية للعبّيين بعد موت المهدي وخلافة ابنه القائم وخاصة لسياسته المتشددة عليهم وتمثل ذلك في ثورة ابن يزيد الخارجي ورغم أنه كان مخالفاً لهم في العقيدة إلا أنهم شاركوا في الثورة على العبّيين وكانت بدايتها (316 هـ _ 928م) بين تيهرت وتوزر ثم هرب إلى ناحية الشرق بعد طلب العبّيين له لأنه كان يدعو العامة إلى الخروج عن السلطان ثم نشط في منطقة تقيوس ناحية قنيطرة وحاول القائم القبض عليه إلا أن أهله من قبائل زناتة حرروه بقيادة عمار الأعمى واستمر في نشاطه حتى استقر بين هوارة بني كملان في جبل أوراس بداية من سنة (325 هـ _ 937م) حتى بداية ثورته (

¹ - يوسف إبراهيم السنوسي , زناتة و الخلافة الفاطمية , شركة سعيد رأفت للطباعة و النشر , مصر , 1986م , ص 57_58.

² - أبي يزيد الخارجي هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث من قبيلة بني يفرن الزناتية لقب بالأعرج وبصاحب الحمار يدين بالمذهب الخارجي النكاري (إنكار خلافة إمام الاباضية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم). كان مذهبه استباحة دماء وأموال أهل الملة واعتبارهم كفاراً , المقرئزي , المصدر السابق , ص 19.

332 هـ_943م) واستطاع بداية السيطرة على بلاد الزاب وبعض الأقاليم الساحلية من باجة وتونس وتبسة حتى تغلب على مدينة القيروان، قضى بعدها على جيش ميسور الفتي بعد انشقاق من كان معه من بني كملان ليحاصر المهديّة وكاد يقضي على حكم العبيدين لكن ما أضمره صاحب الحمار من خداع وغدر بأهل السنة وسوء قيادته أدى إلى تبدد قواته رافق ذلك اعتلاء المنصور العبيدي لقيادة الدولة والذي استطاع القضاء على صاحب الحمار نهائياً في سنة (336 هـ_947م).¹

ومن أهم أسباب هذه الثورة الصراع القبلي البربري بين البتر والبرانس وتدهور الأحوال الاقتصادية بالمغرب الإسلامي جراء الحروب والسياسة المالية الجشعة للدولة العبيدية التي كانت تفرض الضرائب ومنها نظام الخمس الذي يتبناه الشيعة وحتى الحج كانت عليه ضريبة ويبقى السبب العقائدي² هو الأساس نتيجة الخلاف المذهب بين الخوارج بشقيها النكارية والوهابية من جهة وأهل السنة من المذهب المالكي من جهة أخرى كلهم ضد فرقة الشيعة العبيدية الباطنية وقد كان هدف المالكية القضاء على الخطر الأكبر الذي يمثله العبيدين حتى وإن كان باتفاقهم مع من يخالفه الرأي والمذهب وقد بث في مشروعه الخروج مع ابن يزيد لحرب الاسماعيلين بإجماع كافة الفقهاء المالكيين وممن شارك في هذه الحرب مع أبي زيد أبو الفضل عباس بن عيسى الممسي (333 هـ_944م) وأبو العرب بن تميم القيرواني ومنهم أيضاً أحمد بن أبي الوليد (345 هـ_956م) ومنهم أيضاً ربيع القطان (333 هـ_944م) وقد رفعوا جميعاً شعارات تنقص من قدر العبيدين وظلالهم وتبين حكم عقيدة أهل السنة.³

ورغم فشل ثورة صاحب الحمار لعدة أسباب منها تباين مصالحه مع الأهالي ومحاولته الغدر بهم وقلة الإمكانيات المادية والخبرة القتالية في مقابل جيش العبيدين المجهز إلا أن لها إيجابيات من حيث أنها

¹ - ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 193.

² - الدباغ، المصدر السابق، ج 3، ص 289.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص 734.

أقلقت مضاجع العبيدين وهددت وجودهم في الغرب الإسلامي وأكدت لهم رفض أهل المغرب للمذهب الإسماعيلي والشيعة عموماً وهذا ما عجل برحيلهم إلى مصر.¹

رابعاً: استمرار الصراع بين الإسماعيلية والمالكية.

حتى بعد رحيل العبيدين إلى مصر خلفت منطقة الغرب الإسلامي تحت وصاية حلفائها الصنهاجيين² من بني زيري واستمر الصراع بين الدولة الأموية ممثلة في حلفائها من قبائل زناتة و الصنهاجين المواليين للشيعة وعمل المستنصر على تدعيم القبائل من كسب ولائها وفي سنة (362 هـ_973م) أرسل قاضي اشبيليا محمد بن أبي عامر بأحمال كثيرة لاستمالتهم إلى صفهم ثم عين قاضي القضاة وفي سنة (365 هـ_976م) عين علي وجعفر ابن علي بن حمدون الأندلسي على المغرب بسبب خبرتهما ببلاد المغرب وعدائهما للصنهاجيين واستطاع جعفر بن علي بسط نفوذه على المنطقة وقضى على تحرش بلكين³، بمساعدة قادة من قبائل الزناتة وبعد وفاة الحاكم الأموي استبد محمد ابن أبي عامر بأمور البلد وحجر على هشام المؤيد واستمر في تدعيم القبائل البربرية الموالية للأمويين وسمح لهم بالسيطرة على أغلب المناطق في المغرب الأقصى والأوسط والتوسع على حساب الشيعة ومثل ثورتهم الحملة التي قام بها خرزون بل فلفل الزناتي سنة (367 هـ_978م) على مدينة سجلماسة وقتل حاكمها وأقام الدعوة للخلافة الأموية وقد رد بلكين بن زيري على هذه الحملة بحملة سنة (368 هـ_979م) قضى فيها على نفوذ الزناتيين بالمغرب الأوسط والأقصى وكانت له محاولة أخرى لبسط نفوذه من جديد على بلاد المغرب بإرساله للحسين بن قذون الإدريسي (373 هـ_984م) وطلب من بلكين بن زيري أن يدعمه ودعمته قبائل بن يفرن بينما دعت قبائل مغراوة عمرو بن عبد الله بن عامر تحت قيادة ابن عطية بن خرزون بن فلفل وأخذت هذه المحاولة لإحياء مجد المذهب الشيعي ولم

¹ - علي عشي ، ثورة أبو يزيد، محمد بن كيداد النكاري بين الانصاف و التجريح، مجلة العلوم الإسلامية، مج 10، العدد 1، دامعة عباس لغرور ، خنشلة، ربيع 2015، ص 281.

² - القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 26.

³ - بلكين هو أبو الفتوح المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد كان واليا على أشير، الزركلي ، المصدر السابق، ص 298.

يدم الأمر طويلا حتى عاد أبو البهار إلى الدعوة العبيدية فأذن المنصور لابن أبي عامر بمقاتلته وأصبحت بلاد المغرب من إقليم الزاب حتى السوس الأقصى تدين بالولاء للحكم الأموي وبلغت هذه الدولة أعظم مجدها في المغرب تحت راية زيري ابن عطية الذي ثار لاحقا على المنصور بن أبي عامر أفضت إلى عدة حملات أفضت إلى عودة المنطقة إلى حكم المنصور وبدأ النفوذ الشيعي ينحصر حتى دق المعز بن باديس المسمار الأخير في نعش المذهب الشيعي بعد قطع الدعوة العبيدية والانتقال إلى المذهب المالكي.¹

خامسا: العودة إلى المذهب المالكي السني ومقاطعة الشيعة الإسماعيلية :

القضاء على المذهب الشيعي في المغرب الإسلامي والعودة إلى المذهب السني استمر أكثر من نصف عقد من الزمن هذا الوقت كله حتى صفى المغرب سنيا كما كان قبل دخول العبيدين رغم بقاء بعض الأشخاص المتشيعين دون حماية أو وصاية وما سيطرت الإسماعيلية إلا لأن الدولة كانت تفرضه على الأهالي بشتى الطرق من تهيب وترغيب ورغم تعرض العلماء للقمع فقد صمدوا رغم أنواع التضيق والقمع ومع رحيل العبيدين إلى مصر عاد المذهب المالكي السني للظهور والانتشار وصفا المغرب الإسلامي سنيا على مذهب الإمام مالك إلى يومنا هذا ورغم أن الدولة الزيرية كانت أصغرت ولائها للعبيدين إلا أن هذا الولاء كان شكليا، وفي عهدهم لاقى العلماء بعض الحرية فنشطوا من أجل بعث المذهب المالكي والسنة من خلال التعليم مجددا في المساجد كما استطاع بعضهم الوصول إلى بلاط حكم باديس بن منصور والتأثير عليه كما عملوا على إنشاء جيل ذو منهج سليم عمل بدوره على نشر مذهبهم حتى في المدن الشيعية كالمهدية من بين هؤلاء العلماء عبد الرحيم الكتامي (413 هـ - 1023 م)² كما نشط في قبيلة كتامة التي كانت مركز الشيعة وعاد بها إلى المذهب السني.³

¹ - ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 235.

² - الكتامي أبو عبد الرحمن عبد الرحيم، (ت 413 هـ) محدث و فقيه و مسند من سكان تبسة ورحل إلى الأندلس، الذهبي، المصدر السابق، ج 17، ص 374.

³ - زياش علي، موقف العبيدين من المالكية، القيروان، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2021.

سادسا: واقع المذهب المالكي بعد سقوط الدولة العبيدية.

استطاع المذهب أن يسترجع أنفاسه ويستعيد طاقته ويتجدد وينبعث في الواقع وينتشر من جديد بعد أن انزاح عنه خطر العبيدين وظهر ذلك في جهود الإمام عبد الله بن أبي زيد القيرواني (386 هـ_996م) الذي أعاد بعث تراث المذهب بالتأليف والتعليم والتدريس والتنقيح والتوجيه، وبهذا الصمود ظفر المالكيون في آخر الأمر وارتفع مذهب مالك في عهد المعز بن باديس الصنهاجي (406 هـ_1016م). ووصل إلى ديوان الحكم في الدولة الصنهاجية وقضى المعز بن باديس على الشيعة بالقيروان وإفريقيا والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى فانمحت دولة الإسماعيلية وتغلب مذهب مالك، ورغم الفتن التي عاشها المذهب من جديد في عهد الدويلات خاصة في دول الموحدين التي هدفت إلى محو المذهب من المغرب وحمل الناس على المذهب الظاهري ومع ذلك فلم تسقط الدولة الموحدية حتى عاد المذهب المالكي إلى ما كان عليه وأحسن من ذلك بإذن الله تعالى.

❖ نتائج الصراع:

● ثقافيا:

رغم أن الموقف المبدئي لأهل السنة يقوم على أساس عدم الخوض في الجدل في العقائد إلا أنهم وجدوا أنفسهم في مناخ فكري سياسي فرض عليهم الخوض في هذه المسائل دفاعا عن المفاهيم الأساسية للمذهب وحماية لأتباعه من تأثير أفكار المذهب الأخرى خاصة الإسماعيلي وهذا ترتب عنه عدة نتائج:

1/ المراجعة الفكرية التي مست المنهج الفقهي للإمام مالك¹.

2/ ظهور عدة مؤلفات للمالكية دفاعا عن المذهب المالكي نذكر منها: (كتاب الحجة على القدرية) (كتاب الرد على أهل البدع) لابن سحنون (256هـ - 870م) وكذلك مؤلفات أبو عثمان سعيد بن الحداد (302هـ - 914م) منها (كتاب الاستواء) في الرد على الملحدين².

3/ اقتناع علماء المالكية بضرورة اكتساب أدوات منهجية جديدة للدفاع عن معتقداتهم في مواجهة الدعوة الشيعية الإسماعيلية ذات الأبعاد العقائدية العقلية والفلسفية الغامضة وهذا ألزمهم الخوض في علم الكلام والجدل العقائدي والتأويل³.

4/ الصراع المذهبي للمالكية مع العبيدين والحنة التي عاشها العلماء والفقهاء وفرضتها عليهم الدولة الفاطمية، جعلت بعض علماء المالكية يتبنون العقيدة الأشعرية⁴.

¹ - سايح دين: الاتجاهات المذهبية ودورها في التطور الثقافي بالمغرب الأوسط ما بين القرنين الثالث والسادس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الوسيط، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه،

⁴ - الأشعرية: فرقة فلسفية دينية تنسب إلى أبو موسى الأشعري مؤسس الفرقة، الإمام أبو منصور الماتريدي (ت 944 هـ)، كتاب التوحيد، تح بكر طوبال أوغلي ط: دار صادر، بيروت، مكتبة الإرشاد، اسطنبول ص 7_9.

وهذا حقق لهم نوعا من التوافق الفكري العقائدي في المجتمع بين مختلف الاتجاهات المذهبية في المراحل اللاحقة من الصراع ويظهر هذا جليا في القرن السادس في زمن الدولة الموحدية.¹

5/ رغم أن الصراع المذهبي قد ساهم إلى حد كبير في تنشيط الحركة الفكرية إلا أنه في زمن الفاطميين تحول في بلاد المغرب الإسلامي إلى صراع عتيق انجر عنه جدل فكري في المجتمع وترتب عنه أيضا صراع مذهبي وحتى عرقي، وهذا أدى إلى فقدان الأمن والاستقرار وتراجع روح التسامح والعدالة، سببها الرئيسي السياسة العبيدية التي أرادت أن تفرض المذهب الاسماعيلي بكل الطرق وحتى بالعنف رغم رفض أهل المنطقة له لتشبعهم بالعقيدة المالكية التي تختلف تماما عن الأفكار الغريبة والإلحادية التي تدعوا لها الإسماعيلية وما يهمننا في هذا الشأن هو أن أهل السنة خاصة المالكية قد عرفوا حالة من التحول الفكري والمنهجي متأثرين بمناخ الصراع المذهبي رغم تشبثهم بآرائهم العقائدية المستمدة من الكتاب والسنة على منهج أهل الحديث.²

• سياسيا و اجتماعيا:

لم يقدم العبيديون أي خدمة لرعيته فلم يعمرُوا المدن إلا المهديّة باعتبارها عاصمتهم ولم يتركوا خلفهم أثرا في القيروان ولا تونس ولا سوسة كما غلبت على سياستهم الجشع المالي وكل الثروة كانت تذهب لدفع تكاليف الجند ولم يظهروا أي نية في زيارة عمران المغرب لا على مستوى شق الطرق أو إنشاء الأسواق و من مخلفاتهم السياسية في الغرب إذكاء نيران العصبية القبلية حتى أن هناك من الزعماء القبائل من فر إلى الأندلس هروبا من صراع القبائل وانتهى الأمر بالمغرب إلى سلطان قبيلتين أكثر القبائل فسادا هما مغاورة وبنو يفرن ولولا أن تدارك الله المغرب بالمرابطين والموحدين لكان من الصعب قصورا استقرار هذه البلاد بالنظر لدرجة الإفساد التي دأب عليها العبيديون والتي تعد أيضا من أسباب ضعف

¹ -سايح دين , المصدر السابق.

² -المصدر نفسه.

الدولة الإسلامية في الأندلس و كان انجازهم الوحيد هو نشاطهم البحري حيث كانت لهم أساطيل تسيطر بالفعل على مياه المتوسط.¹

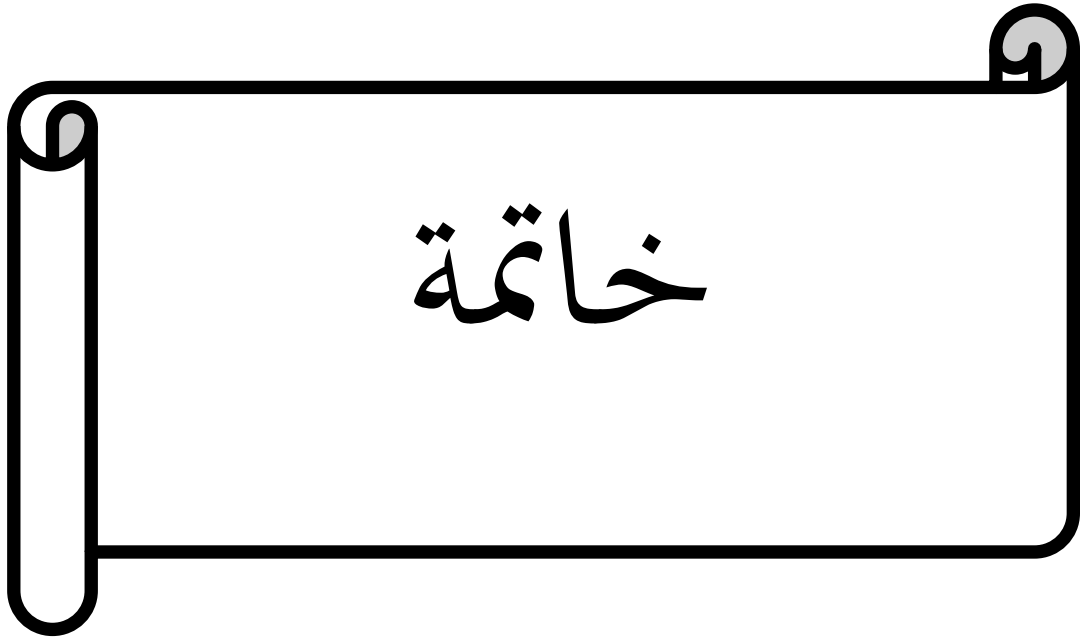
• من النتائج أيضا:

-إجلاء العبيدين: بفضل المقاومة المتواصلة وانتعاش الفكر السني تم إضعاف النفوذ العبيدي حتى استطاع المالكيون فرض سيطرتهم على الحكم في النهاية.

-الاعتراف بالمذهب المالكي بعد زوال الدولة العبيدية، أصبح المذهب المالكي هو المذهب الرسمي في شمال إفريقيا، مما ساهم في تطبيق الشريعة الإسلامية بطريقة صحيحة.

- تأثير الصراع على المذهب المالكي: حاول العبيديون القضاء على النفوذ المالكي مما أدى الى تحول تدريجي لبعض أتباع المذهب المالكي نحو العقيدة الأشعرية.

¹ -سايح دين , المصدر السابق.



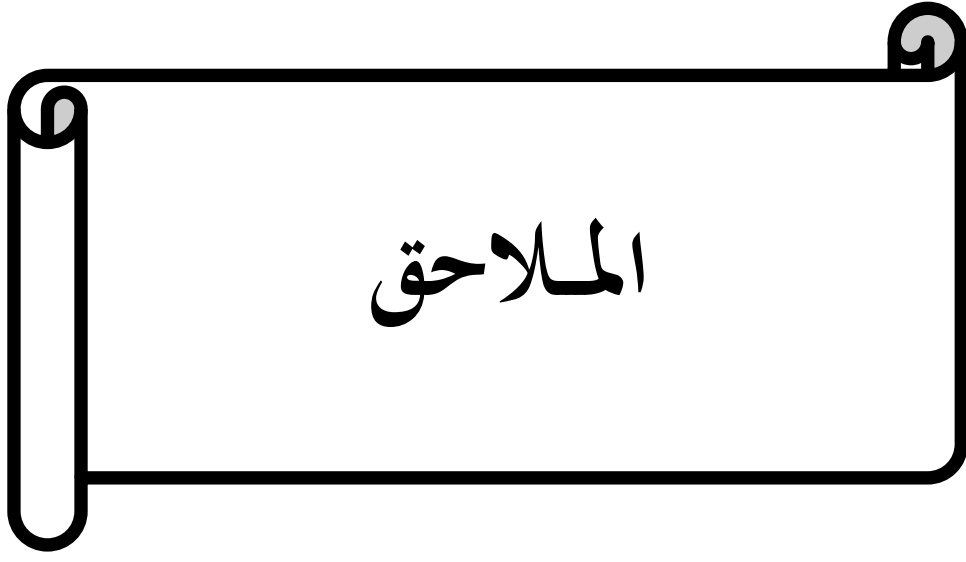
الخلاصة:

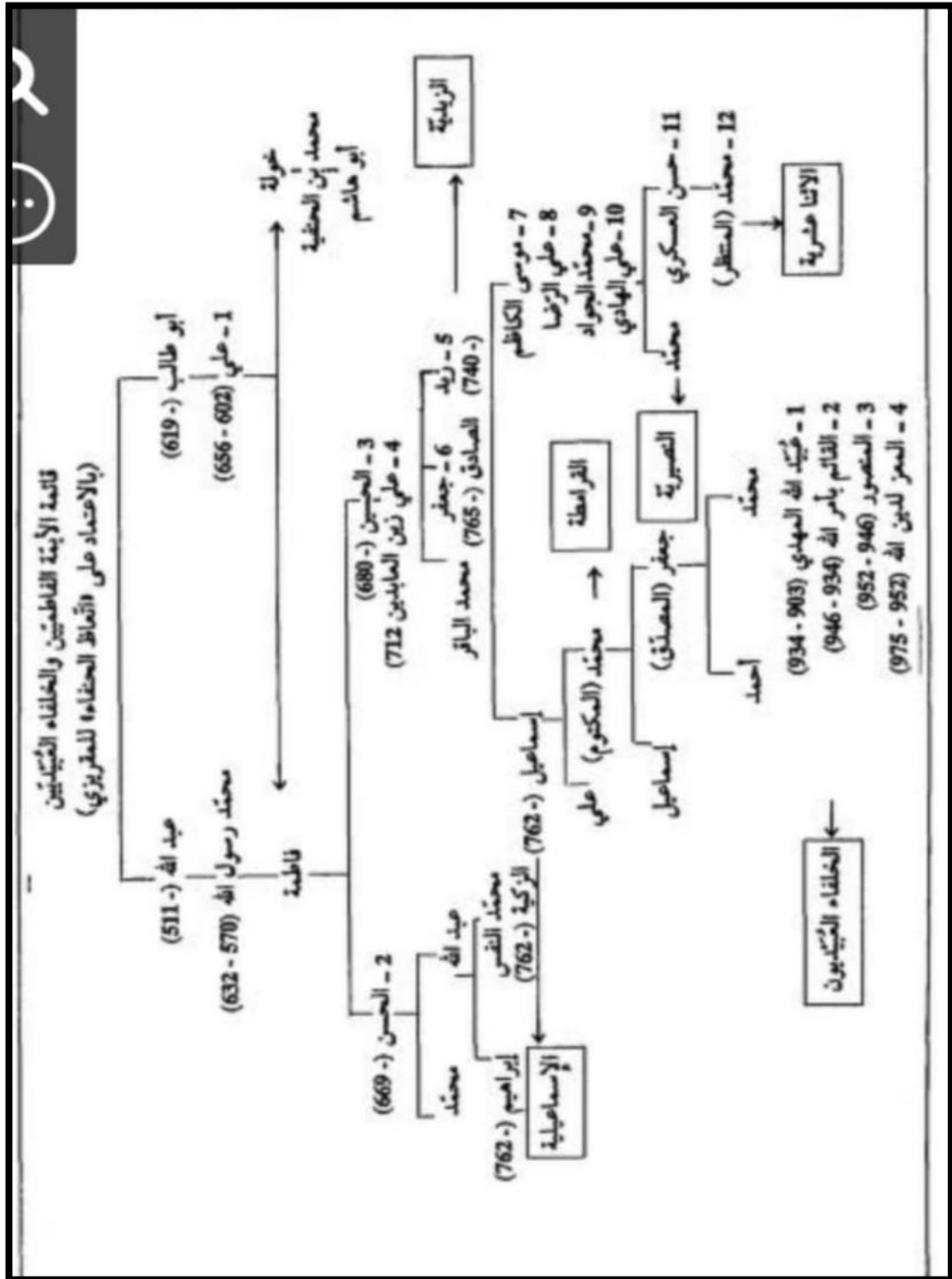
ختاما إلى بحثنا توصلنا إلى عدة نتائج حول الموضوع :

يتميز أهالي الغرب الإسلامي بالعقيدة السنية و بتمذهبهم بالمذهب المالكي المتجذر في المنطقة منذ دخول الدين الإسلامي إلى هذه البلاد, إلا أن أتباع المذهب الاسماعيلي وفدوا إليها و حاولوا نشر عقيدتهم مستغلين عاطفة المسلمين اتجاه رسول الله (ص) و آل بيته الشريف , فاستطاعوا بث أفكارهم و تأسيس كيان شيعي بالمنطقة محاولين إقامة خلافة شيعية بديلة للخلافة السنية . و لكن سياسة حكام الدولة الفاطمية القائمة على محاربة السنة و طمس باقي المذاهب و كذلك الانحرافات التي تميز بها المذهب الاسماعيلي في شتى المجالات خاصة في الجانب العقائدي الذي كان مخالفا و متناقضا مع الأصول الفقهية السنية , كموضوع الإمامة و سب الصحابة و أفكار أخرى تميزت بالزندقة و الكفر كعقيدة الغيبة و الرجعة و كذلك تشويههم للعبادات و تحريفها كالصلاة التي غيروا في أركانها و سننها , و كذلك محاولتهم المستمرة التضيق على علماء و فقهاء السنة بل وصل بهم الحد ال قتلهم و التكيل بهم و منعهم من الفتوى بمذهبهم , كل هذا و غيره جعل المشروع العبيدي يقابل بالرفض من أهل المغرب الإسلامي و يخلق لديهم رد فعل لكل من فقهاء الأمة و حتى عامة الناس تميز بمواجهة و معادة المعتقدات الشيعية الذي أصله الفقهاء بإبراز تعارض هذه المعتقدات مع الدين الإسلامي الحنيف و استخدموا لذلك مختلف الأساليب كتعليم الناس الأصول الصحيحة و مقاطعة كل من تشيع للاسماعيليين مع توضيح التلبيس الذي ميز عقيدتهم من خلال المناظرات الدينية . بل و تعدى تصدي أهل المغرب للمد الاسماعيلي إلى نشوب حروب و ثورات قادها قبائل البربر و شارك فيها فقهاؤها دفاعا عن بلادهم و عقيدته و هذا ما يجعلنا نستنتج و ما يؤكد لنا الارتباط المذهبي لسكان المغرب بعقيدتهم السنية و بتمسكهم بالمذهب المالكي.

و ما رحيل العبيديين إلى مصر إلا دليلا على عدم نجاح مخططهم و فشلهم في تحقيق الولاء التام لأهل المنطقة لأئمتهم , و برحيلهم عادت المنطقة تدريجيا لهويتها السنية , حصل فيها فقهاء المالكية

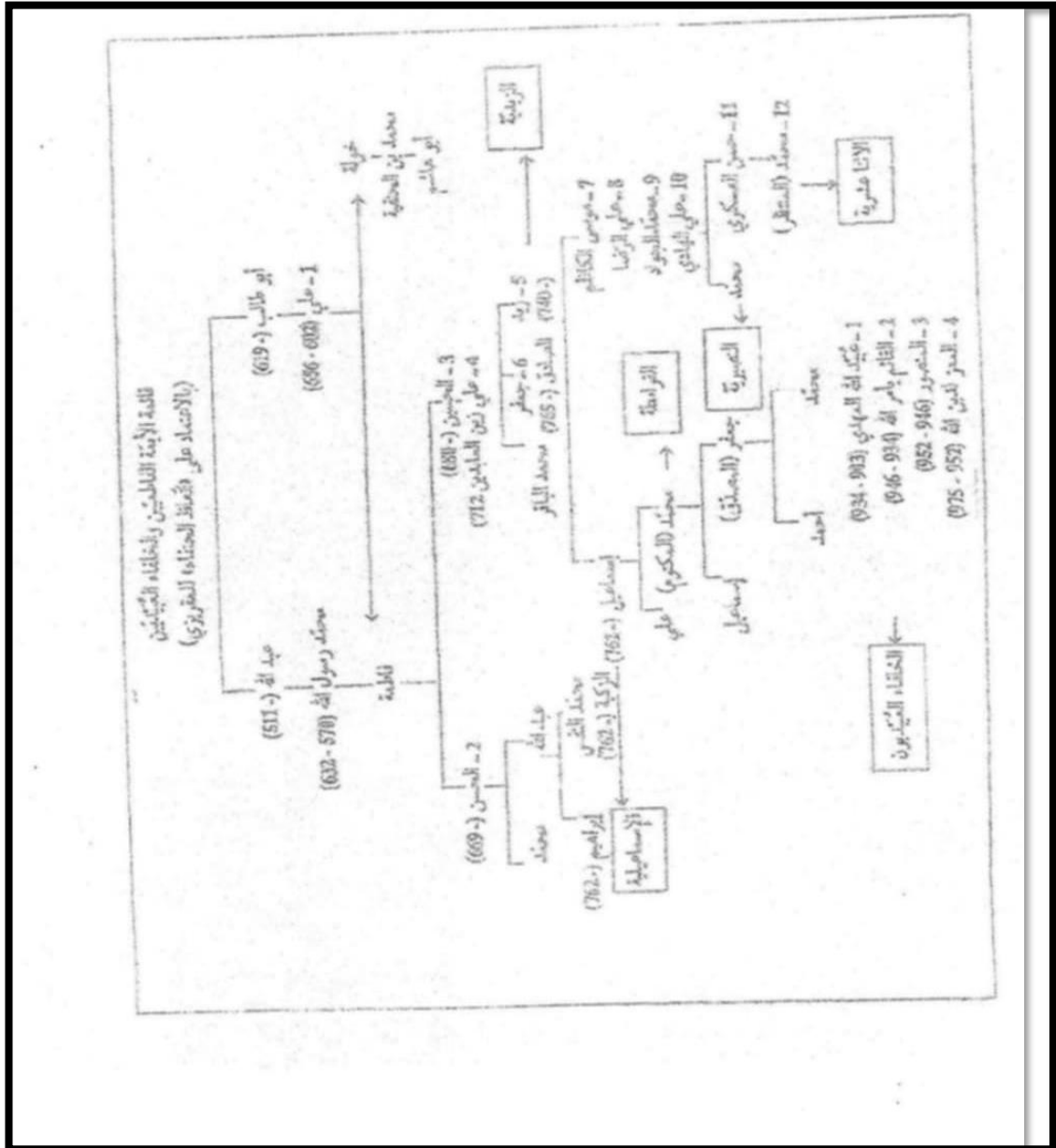
على حرية دينية شجعتهم على النشاط العلمي و الدعوي , هدفهم دوما ترسيخ مذهبهم بالمنطقة و هذا ما جعل الخطر الذي شكلته الإسماعيلية كعقيدة منحرفة على المغرب الإسلامي لم تدم طويلا و كان مآلها الزوال لأن أهل المغرب الإسلامي يعتبرون دوما من أهل السنة و الجماعة الراضين لأهل البدع و الابتداع في الأمة و أن فقهاؤها كانوا دوما قائمين بدور ريادي في الحفاظ على العقيدة السمحة و في إحياء الأمة و الدفاع عنها.و رغم أن العنف الاسماعيلي ضد أهل المغرب الإسلامي كان من أبشع الجرائم التي عفتها البشرية و رغم كل الأساليب التي استخدموها للتمكين لمذهبهم لم يتمكنوا من إخضاع أهل المغرب وتبقى منطقة المغرب الإسلامي سنية مالكية في معظم مناطقها إلى الآن.





¹ - المقريري، المصدر السابق، تح د. محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة 1416هـ، ج 3، ص 88.

الملحق رقم 03: مخطط أئمة الفاطميين والخلفاء العبيديين¹



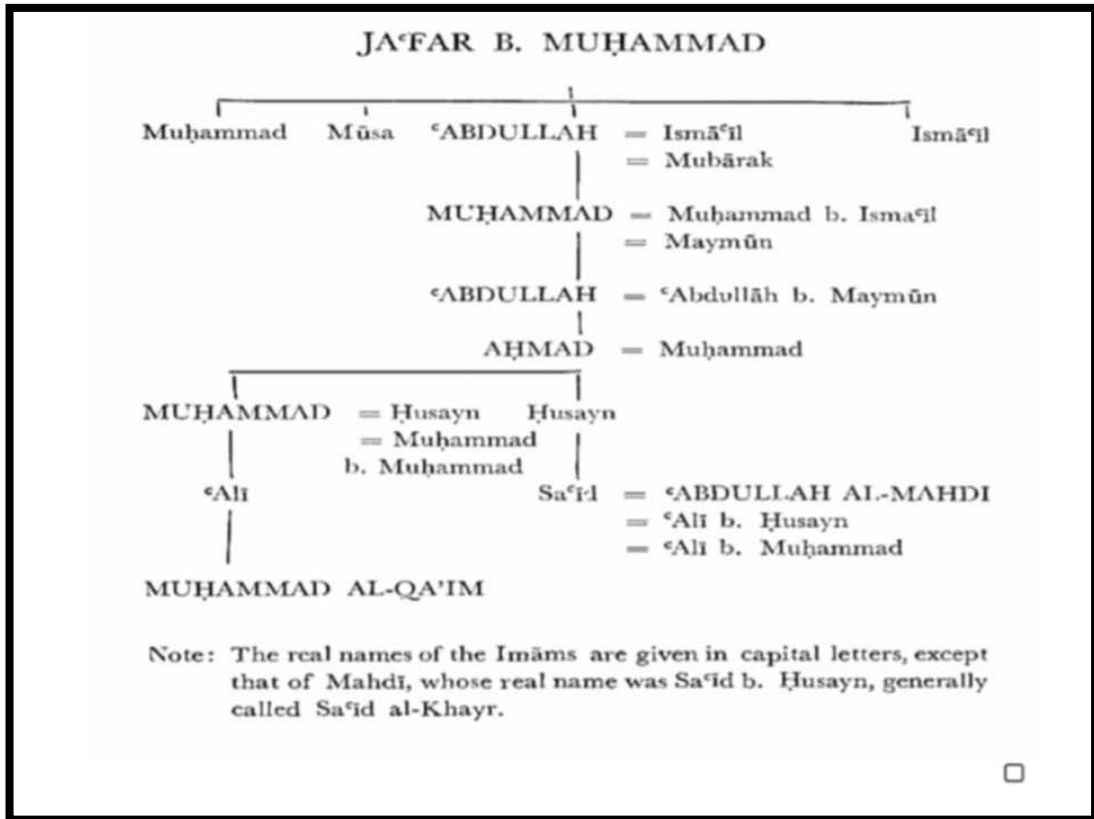
¹-فرحات الدشري : " الخلافة الفاطمية بالمغرب " نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 1994، ص77.

الملحق رقم 04: جدول يوضح تطور الإمامة عند الاسماعيليين¹

الأئمة	الفترة الزمنية	الخاصية	الحجة أو الخاجب
1- آدم	/	/	/
2- نوح	2900-3900 ق.م	/	/
3- إبراهيم	1686-1861 ق.م	/	/
4- موسى	1316-1436 ق.م	/	/
5- عيسى	33-1 م	/	/
6- محمد	(571-632 م) 23هـ	خاتم الأنبياء	/
1- علي	40هـ	الوصي	/
2- الحسين	61-40هـ	إمام مستودع	/
3- علي زين العابدين	94-61هـ	/	/
4- محمد الباقر	113-94هـ	/	/
5- جعفر الصادق	148-113هـ	/	/
6- إسماعيل بن جعفر الصادق	158-148هـ	/	ميمون القداح
1- محمد بن إسماعيل	193-158هـ	الإمام لثمن الأول	عبد الله بن ميمون (ت 270هـ)
2- عبد الله ارضي	212-193هـ	/	عبد الله بن ميمون
3- أحمد بن عبد الله	265-212هـ	/	عبد الله بن ميمون
4- الحسين بن أحمد	287-265هـ	/	أحمد عبد الله بن ميمون (ت 275هـ)
5- علي بن الحسين	296-287هـ	/	عبد الله بن ميمون
سعيد الخير أبو عبيد الله المهدي	322-297هـ 934-909 م	إمام مستودع	أبو جعفر البغدادي .

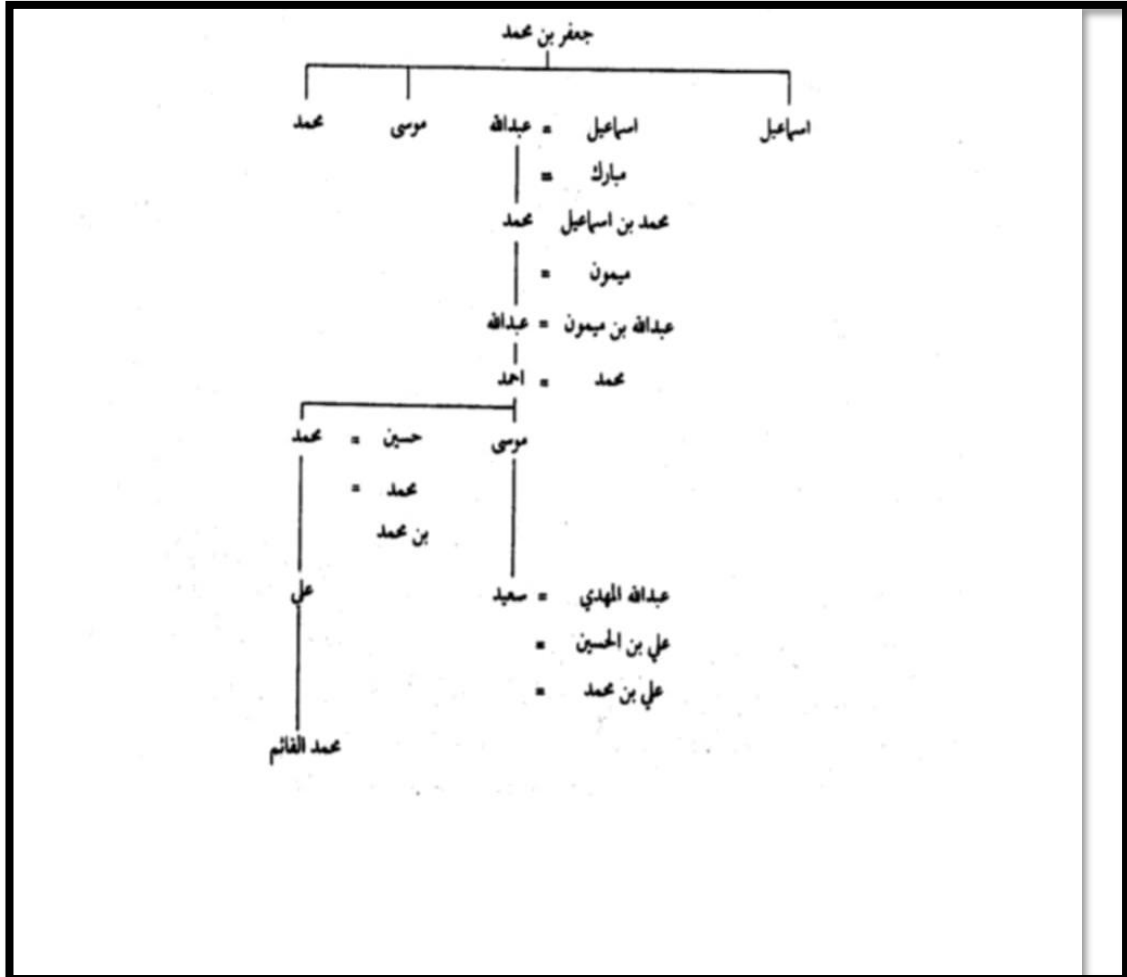
¹-الباجي المسعودي , الخلاصة النقية في أمراء افريقية، تح د. محمد زينهم محمد عزب , ص 151.

الملحق رقم 05: مخطط يوضح سلسلة الأئمة الفاطميين حسب رواية الداعي جعفر منصور، اليمن من كتاب نسب الخلفاء الفاطميين.¹



Husnu F al _ amdani : on the GENALOGY OF FATIMID CALIF; amiricane ; -¹
university of Beirut; Cauro; Egypt 1958 p20.

الملحق رقم 06: مخطط سلسلة الأئمة الفاطميين حسب رواية الداعي جعفر منصور اليمن من كتاب نسب الخلفاء الفاطميين.¹



¹ - إحسان الاهي ظهير، المصدر السابق، ص 225.

الملحق رقم 07: الخطبة التي ألقاها خطيب جامع القيروان أحمد بن محمد بن أبي الوليد (ت 345 هـ - 956م) عشية مشاركة أهل السنة في ثورة أبي يزيد الخارجي.

وتلا هذه الآية: " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر " سورة النساء الآية 95. وقال: يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم انه رب من دون الله تعالى وغير أحكام الله عز وجل وسب نبيه وأصحاب نبيه وأزواج نبيه. فبكى الناس بكاءً شديداً. وقال في خطبته.

اللهم إن هذا القرمطي الكافر الصنعاني المعروف بابن عبيد الله المدعي الربوية من دون الله جاهداً لنعمك، كافراً بربوبيتك طاعنا على أنبيائك ورسلك، مكذباً بمحمد (ص) نبيك وخيرتك من خلقك، ساباً لأصحاب نبيك وأزواج نبيك أمهات المؤمنين، سافكاً لدماء أمتة منتهكا لمحارم أهل ملته، افترا عليك، واغتر بحلمك.

اللهم فلعنه لعنا وبيلا، وأخزه خزياً طويلاً، واغضب عليه بكرة وأصيلاً، وصله جهنم وساءت مصيراً بعد أن تجعله في دنياه عبرة للسائلين، ة أحاديث في الغابرين. وأهلك اللهم شيعته، وشتت كلمته، وفرق جماعته، واكسر شوكته، واشف صدور قوم مؤمنين منه.¹

¹ - المالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد مالكي ، رياض النفوس ، ط 1 ، تح حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، ج 1 ، ص 242-243.

الملحق رقم 08:

مناظرة¹: بين الفقيه أبي سعيد عثمان بن حداد (ت 298 هـ / 911 م) وأبي العباس المخطوم (ت 298 هـ / 911 م).

- فقال أبو عبد الله: يا أهل المدينة إنكم تبغضون عليا.

- فقال أبو عثمان: على مبغض علي لعنة الله والملائكة والناس أجمعين / وكيف أبغض عليا وقد سمعت سحنون بن سعيد _ وهو إمام أهل المدينة بالمغرب _ يقول: " علي بن أبي طالب إمامي في الدين أهتدى بهديه واستن بسنته وأقتفى أثره " _ رحمة الله عليه _.

- فقال أبو عبد الله: أراد أن يقول: صلى الله (عليه)، فرجع فقال: رحمة الله (عليه).

- فقال أبو عثمان: _ ورفع بها صوته _ نعم. صلى الله عليه وسلم، لأن الصلاة في كلام العرب: الرحمة والدعاء، قال الأعشى :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا.. يا رب، جنب أبي الأوصاب والوجعا.

عليك مثل الذي صليت، فاغتمضي.. نوما فان لجنب المرء مضجعا

فالصلاة من الله رحمة ومن الآدميين دعاء، نعم فصلى الله على علي وفاطمة والحسن والحسين وعلى أهل طاعته أجمعين من أهل السموات والأرضين.

- فقال أبو عبد الله: أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من كنت مولاه فعلي مولاه " أفليس على مولاك؟

¹-موضوع المناظرة حول ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه , المالكي , المصدر السابق, ج 2 ص 84_86.

- فقال أبو عثمان: هو مولاي بالمعنى الذي أنابه مولاه، ومعنى مولاي: على الولاية في الدين لا مولى عتاقة، وذلك أن المولى في كلام العرب: الولي وابن العم والمعتق والمنعم عليه. قال الله عزوجل في ابن العم _ حكاية عن زكرياء عليه السلام _ (وإني خفت الموالى من ورائي) يريد (به) العصبية. وقال في ولاية الدين: (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم)

أي لا ولي لهم. وقال المؤمنون: (بعضهم أولياء بعض) فعلي مولى المؤمنين بأنه وليهم، وهم مواليه بأنهم أوليائه، فهو مولاي بالمعنى الذي أنا به مولاه.

- فقال أبو عبد الله: ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: " علي مني بمنزلة هارون من موسى "؟

- فقال له أبو عثمان: نعم إلا أنه قال: " (إلا) أنه لا نبي بعدي " وهارون كان حجة في حياة موسى، و علي لم يكن حجة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهارون كان شريكا لموسى، أفكان ل علي شرك مع النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة؟ إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " علي مني كهارون من موسى " على التقريب والوزارة والولاية.

قال: أليس هو أفضل ؟

-/ فقال أبو عثمان: أليس الحق متفقا عليه غير مختلف فيه ؟

- قال: نعم.

- قال: فقلت له: قد ملكت مدائن (كثيرة) قبل مدينتنا (هذه).

- وهي أعظم مدينة _ واستفاض الخبر عنك أنك لم تكره أحدا خالفك في مذهبك (على الدخول فيه) فاسلك بنا مسلك غيرنا.

- فألح (عليه) بعض أصحابه في قصدنا.

- فقال لهم: (نقول) كما قال شعيب: (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين).

ثم نهضنا.

قائمة المصادر و المراجع

❖ المصادر:

- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري، (ت 711 هـ) ، لسان العرب، الطبعة 3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ.
- القرافي شهاب الدين، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي العلا ادريس القرافي (ت 684هـ) الأحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام ، تح أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية .
- الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 584 هـ) ، الملل و النحل ، تح أحمد فهمي محمد ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1992.
- الكليني محمد بن يعقوب (ت 329 هـ) ، الكافي في الأصول و الفروع، منشورات دار الكتب الاسلامية، طهران _ ايران 1338هـ.
- البغدادي عبد القادر بن طاهر (ت 429هـ) ، الفرق بين الفرق ، ط 2 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.
- ابن خلدون عبد الرحمن، (ت 808 هـ) ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح، صلاح الدين الهواري ، ط 1، المطبعة المصرية ، بيروت ، لبنان، ج2.
- الذهبي أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان شمس الدين (ت 748 هـ) ، سير أعلام النبلاء . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان.
- اليعموري إبراهيم ابن فرحون ابراهيم ابن علي بن محمد برهان الدين (ت 799 هـ) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ت، محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة 1972، ج1.

-القاضي عياض, أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت 544هـ), ترتيب المدارك و تقريب المسالك , تحقيق محمد بن تاوت الطنجي , الطبعة 1, الناشر : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية, ج 1.

- ابن وردان أبو الحارث عيسى المدني (ت 160 هـ) , تاريخ مملكة الأغالبة , تح محمد زينهم محمد عرب , ط1, مكتبة مدبولي , القاهرة , 1988م.

- أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي , (ت 453هـ), رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية, تح , بشير البكوش, دار الغرب الاسلامي , ج 1.

-ابن حزم , أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري , (ت 994هـ), رسائل ابن حزم الأندلسي,تح , احسان عباس, المؤسسة العربية للدراسات و النشر, ج 1.

- ادريس عماد الدين الداعي (ت 872 هـ) , تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب , تح محمد اليعلاوي , دار المغرب الإسلامي , بيروت لبنان.

- الجزري, عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الكريم الجزري ابن الأثير (ت 630 هـ) , الكامل في التاريخ , تح عمر عبد السلام ط1, دار الكتاب العربي, بيروت, 1417هـ.

- خطاب الرعيني أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن حسين , (ت 954 هـ) , مواهب الجليل في شرح مختصر خليل في الاقتصاد , تح الشيخ زكريا عميرات , , مجلد 1 , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان.

- الغزالي أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي, (ت 505 هـ), فضائح الباطنية , تح عبد الرحمن بدوي , دار النشر , مؤسسة دار الكتاب , مصر.

- السجستاني, أبو يعقوب اسحاق بن أحمد (ت 910 هـ) , الينايع , تح مصطفى غالب , ط1 , بيروت , المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر 1965.

- المفيد البغدادي, محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي , (ت 413 هـ) , تصحيح اعتقادات الامامية , تح حسين دركاهي , ط2 , منشورات الرضى , ايران , 1414هـ.

-القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت 474 هـ) , احكام الفصول في أحكام الأصول , تح عبد المجيد تركي , مج 1 , ط2 , المكتبة الشاملة دار الغرب الإسلامي , 1995.

-الشاطبي, أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت 790 هـ) , الموافقات, تحقيق حسين آيت سعيد , مج 4 , منشورات البشير بن عطية , فاس , المغرب , ج1.

- القيرواني, أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني (ت 386 هـ) , الذب عن مذهب مالك في غير شيء من أصوله و بعض مسائل من فروعہ, تح محمد العلمي مجلد 1, ط1 , مركز الدراسات و الأبحاث و احياء تراث المغرب, المملكة المغربية .

- الولاقي , أبو عبد الله محمد يحيى بن مختار بن طالب عبد الله (ت 1330 هـ) , إيصال السالك في أصول الامام مالك , تح مراد بوضاية , مج 1, ط1, دار ابن حزم للطباعة و النشر , بيروت , لبنان , 2006.

- ابن الجوزي محي الدين يوسف ابن الشيخ,(ت 597 هـ), مناقب الإمام أحمد بن حنبل , ط2, دار هجر, 1988,

- المقرئ أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين, اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، تح جمال الدين شبال, ط2 القاهرة , 1996.

-ابن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر, (ت 681 هـ), وفيات الأعيان, الطبعة 2 , الناشر : دار صادر , بيروت , لبنان.

- ابن تيمية تقي الدين أبو العباس (ت 738 هـ) منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية , المحقق : محمد رشاد سالم , الطبعة 1 , الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- القاضي النعمان المغربي بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت 974 هـ) , افتتاح الدعوة (346 هـ) , تح فرحات الدشراوي , الشركة التونسية للتوزيع , تونس , ديوان المطبوعات الجديدة , الجزائر.
- ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي , (ت 645 هـ) , بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب , الطبعة 1 , دار الثقافة , بيروت , لبنان , ج 1.
- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764 هـ) , الوافي بالوفيات , تح أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ج 19 , دار احياء التراث العربي.
- القاضي عبد الجبار أبو الحسن ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الجليل بن عبد الله (ت 1025) تح عبد الكريم عثمان , تثبت دلائل النبوة , دار العربية للطباعة و النشر , بيروت , ج 1 .
- الجذامي , أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز الجذامي (ت 289 هـ) , الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى تح جعفر و محمد الناصري , دار الكتاب الدار البيضاء , المغرب , ج 1.
- الدباغ , أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأسدي الأنصاري (ت 699 هـ) , معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان , مكتبة الخانجي , مصر , 1968.
- الخشني , أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم المغربي (ت 333 هـ) : طبقات علماء افريقية , الطبعة 2 , الناشر : دار الكتاب اللبناني , بيروت , لبنان .
- الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت 403 هـ) , تاريخ علماء الأندلس , تح عزت العطار , ط 2 , مكتبة الخانجي , مصر , 1988 , ج 1.

-البكري, أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب (ت 1094) , كتاب المسالك و
الممالك , تح , جمال طلبة , المكتبة الشاملة.

-أبو الوليد الباجي, أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي, (ت 474هـ) , فقيه
مالكي , رياض النفوس في طبقة علماء القيروان وافريقية, تح بشير البكوش ط1 , مكتبة النهضة
المصرية, ج1.

- الماتريدي , أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت 944 هـ) , كتاب التوحيد , تح بكر طوبال
أوغلي ط : دار صادر , بيروت , مكتبة الارشاد , اسطنبول .

❖ المراجع:

- مريم محمد صالح الظفيري , مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز, دار ابن حزم ,بيروت.
- محمد أبو زهرة, مالك حياته و عصره و آراؤه الفقهية , دار الفكر العربي , القاهرة .
- محمد كامل حسين , طائفة الإسماعيلية , ط1 , مطبعة لجنة التأليف , مصر , 1959.
- الزركلي خير الدين , كتاب الأعلام , مج 4, ط (المطبعة العربية 1927) , لبنان , مصر.
- الدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفور , تاريخ الفقه الإسلامي , الطبعة 1, دار النشر ابن كثير , سوريا, لبنان 1995.
- أحمد رضا (معجم متن اللغة العربية) موسوعة لغوية حديثة، مادة :ش ي ع، 399/03 ط 1 / 378، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
- أحمد تيمور باشا , نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة , ط1, مكتبة الثقافة الدينية, بور سعيد , مصر , 2001.
- عمر الجيدي : مباحث في المذهب المالكي بالمغرب , الطبعة 1 , الناشر : مطبعة المعارف الجديدة , الرباط , المملكة المغربية 1993 .
- موسى هيصام ,التمكين للمذهب المالكي بالمغرب الأدنى و الأوسط بين القرنين 4هـ_6هـ , مكتبة كنوز الحكمة , الجزائر.
- علي جمعة محمد , المدخل الى دراسة المذاهب الفقهية , ط1, دار السلام , القاهرة , مصر , 2004.

- الصلابي محمد محمد علي , الدولة العبيدية الفاطمية , مكتبة الصحابة , جامعة عين شمس , القاهرة.
- عواد ابن عبد الله المعتق , المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها, مكتبة الرشد _ الرياض.
- عماد الصباغ , الأحناف , دار الحصاد _ دمشق, 1998.
- محمد إبراهيم علي , اصطلاح المذهب عند المالكية, دار البحوث و الدراسات الإسلامية و إحياء التراث , 2000.
- محسن الأمين, دار التعارف للمطبوعات , بيروت, 1983 ج 8.
- إحسان الاهي ظهير, الإسماعيلية , تاريخ و عقائد , تقديم سيد حسين العفاني ط 1, 1429 هـ, مكتبة بين السلام.
- نادر مرزوق مرضي العازمي , الإسماعيلية, عن مجلة كلية دار العلوم، الكويت , مج 36, العدد 126, المسلسل للعدد 126, سبتمبر 2019.
- محمد صادق الصدر, تاريخ مابعد الظهور , دار التعارف للمطبوعات , بيروت , لبنان, 1412 هـ, ج 3, ص 165.
- مصطفى غالب (أعلام الإسماعيلية) منشورات اليقظة العربية , بيروت 1984.
- مصطفى أحمد علي القضاة , مدرسة المغرب الأقصى ومظاهر استمدادها من المدرسة الأولى, المكتبة الشاملة الذهبية, ج 1.
- شرحبيلي محمد بن حسن , تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي, المملكة المغربية, وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية, 1421 هـ _ 2000 م .
- أبو الأجفان محمد بن الهادي, المدرسة المالكية بافريقية في عهد سيادة القيروان , بحوث الملتقى الأول القاضي عبد الوهاب البغدادى المالكي, دار البحوث , دبي , 1422 هـ, ج 1.

- محمد أحمد الخطيب , الحركات الباطنية في العالم الإسلامي , ط2, مكتبة الأقصى , 1404 هـ .
- محمد عبد الستار التونسي : " بطلان عقيدة الشيعة وبيان معتقدها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية " , دار النشر الإسلامية العالمية، باكستان , المكتبة الامدادية، مكة، السعودية .
- ناصر بن عبد الله بن علي الفقاري: "مسألات التقريب بين أهل السنة والشيعة", دار طيبة للنشر و التوزيع.
- محسن الأمين , أعيان الشيعة , تح , حسن الأمين , دار التعارف للمطبوعات , بيروت , 1403 هـ _ 1983 م.
- غالب عواجي , الحركات الباطنية , مكتبة التنوير , ط 2 , 1982.
- محمد إبراهيم علي , اصطلاح المذاهب عند المالكية , ط1, دار البحوث و الدراسات الإسلامية و إحياء التراث, 2000.
- عبد الرحمن الشعلائي , الإمام مالك , أدلته النقلية, مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود , ج 2, 2023.
- الرصاع , محمد الأنصاري أبو عبد الله , الهداية الكافية الشافية , دار الغرب الإسلامي.
- عبد الرزاق ورقية , المدخل إلى أصول المذهب المالكي وقواعده , ط 1, العرف والعمل , 2015.
- أحمد وصفي زكريا (ت 1964 م) , المفكرة الزراعية , دار الفكر المعاصر , دمشق 1984.
- سعدون عباس , دولة الإدارة في المغرب العصر الذهبي , دار النهضة العربية للطباعة و النشر , بيروت.

- عبد العزيز المجذوب, الصراع المذهبي بإفريقيا قيام الدولة الزيرية, ط1, دار ابن حزم للنشر والتوزيع, بيروت 2008.
- علي بن حماد, أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم, تح التهامي نقره, عبد الحليم عويس, دار الصحوة, مصر.
- يوسف ابن تغرى, النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دار الكتاب, مصر ج 4, ص 75.
- عقبة بن مدرور, تحقيق النسب الفاطمي بين المؤيدين والمنكرين (567هـ - 297هـ), مجلة مدارات تاريخية, مج1, العدد3, المركز العربي للدراسات والبحوث .
- حسن إبراهيم حسن, طه أحمد شرف, عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب, مكتبة النهضة المصرية, مصر, 1366 هـ _ 1947م.
- الحسين ابن محمد الشواط, كتاب مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هـ, الدار العالمية للكتاب الإسلامي, ج1.
- عبد الحميد حسين حمودة, تاريخ المغرب في العصر الإسلامي, ط1, الدار الثقافية للنشر, القاهرة, مصر.
- بشير بوجرة علي الشريف, جهاد فقهاء المالكية و أساليب مقاومتهم للدولة الشيعية, مج 11, العدد 3, دار الفكر العربي, القاهرة.
- عبد الله شبر, حق اليقين في معرفة أصول الدين, ط1, مؤسسة الأعلمي للطباعة, ج1, بيروت, لبنان 1418 هـ .
- محمد محفوظ, تراجم المؤلفين التونسيين, مج5, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان.
- علي فهمي خشيم, أحمد الزروق و الزروقية, المدار الإسلامي, بيروت, لبنان.

- حسن حسني عبد الوهاب , خلاصة تاريخ تونس ط 5 , دار الجنوب للنشر , تونس العاصمة , 2011.

- الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي , القاهرة سنة 1349هـ .

- علي عشي , ثورة أبو يزيد , مخلص بن كيداد النكاري بين الانصاف و التجريح , مجلة العلوم الإسلامية , مج 10 , العدد 1 , دامة عباس لغرور , خنشلة , ربيع 2015.

- زباش علي , موقف العبيدين من الملكية , القيروان , مذكرة ماستر , جامعة المسيلة , 2021.

- سايح دين : الاتجاهات المذهبية ودورها في التطور الثقافي بالمغرب الأوسط ما بين القرنين الثالث والسادس الهجري , رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الوسيط , جامعة سيدي بلعباس , الجزائر .

- فرحات الدشري : " الخلافة الفاطمية بالمغرب " نقله إلى العربية حمادي الساحلي , دار الغرب الإسلامي , بيروت , لبنان , ط 1 , 1994.

- ماجي لخضر , الصراع العبيدي المالكي في الغرب الإسلامي بين القرنين 4هـ - 6هـ , أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه , جامعة الشلف , 2024/2023.

- سليمة بن حسن , الصراع المذهبي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس و السابع , مخبر الدراسات في التاريخ و الثقافة و المجتمع , جامعة باتنة 1 , النشر 2024/06/22.



فهرس المحتويات

المقدمة:	أ
الفصل الأول: في المذهب الإسماعيلي والمذهب المالكي.	1
تمهيد:	5
المبحث الأول: التعريف بالمذهب الإسماعيلي والمذهب المالكي.	6
أولاً: المذهب الإسماعيلي.	6
1- مفهوم المذهب:	6
2- مفهوم الشيعة:	7
3- الإسماعيلية.	7
4- فرق الإسماعيلية.	9
ثانياً: المذهب المالكي.	10
1- تعريف المذهب المالكي.	10
2- خصائصه:	11
3- مؤسسه:	11
4- أهم مصنفات المذهب المالكي.	11
5- أهم شيوخه:	12
6- أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي.	12
7- أهم فقهاء المذهب المالكي:	16
المبحث الثاني: مراحل تطور المذهب الإسماعيلي والمذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي.	17

- 1- مرحلة النشأة: 17.....
- 2- دور الستر: 18.....
- 3- دور الظهور: 19.....
- ثانيا: مراحل تطور المذهب المالكي. 20.....
- 1- مرحلة النشأة (110 هـ - 330 هـ): 21.....
- 2- مرحلة التطور والتفريع (301 هـ - 600 هـ): 22.....
- 3- مرحلة الاستقرار (601هـ): 23.....
- المبحث الثالث: الأصول الفكرية للمذهب الإسماعيلي. 23.....
- أولا: أصول المذهب الإسماعيلي. 23.....
- 1- عقيدة الإسماعيلية في الله: 23.....
- 2- عقيدتهم في النبوة : 24.....
- 3- عقيدتهم في اليوم الآخر: 24.....
- 4- عقيدتهم في العبادات: 24.....
- 5- أركان الإسلام: 25.....
- 6- التقية : 25.....
- 7- العلم الظاهر والتأويل الباطني: 25.....
- 8- عقيدة الاحتساب: 26.....
- 9- الرجعة والغيبة: 26.....
- 10- إمامي الاستقرار والاستيداع: 26.....

11- العصمة:	27
1- الأصول النقلية وهي:	28
2- الأصول العقلية:	29
الفصل الثاني: قيام الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي	1
تمهيد:	32
المبحث الأول: الدولة العبيدية	33
أولا: التعريف بالدولة العبيدية	33
ثانيا: نسب العبيدين	36
المبحث الثاني: بداية الدعوة العبيدية في المغرب الإسلامي	39
أولا: دور أبي سفيان والحلواني في نشر المذهب الإسماعيلي	39
ثانيا: دور أبي عبد الله الشيعي في تأسيس الدولة العبيدية	39
ثالثا: هجرة عبيد الله المهدي وإعلان قيام الدولة العبيدية	40
المبحث الثالث: سياسة أئمة الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي	41
أولا: موقف الدولة العبيدية من المذهب المالكي وجرائمهم في بلاد المغرب الإسلامي	41
ثانيا: سياسة أئمة الدولة العبيدية	43
الفصل الثالث: الصراع بين المذهب المالكي والمذهب الإسماعيلي	1
تمهيد:	50
المبحث الأول: أسباب الصراع بين المالكية والعبيدية	51
أولا: أسباب عقائدية:	51

المبحث الثاني: موقف علماء المالكية من العبيدين.....	53
أولاً: العلماء الذين تشرقوا وصاروا ضمن فريق العبيدين.....	53
ثانياً: الفقهاء الذين تعاطفوا مع الإسماعيلية:	54
ثالثاً: الفقهاء المعادون للسلطة العبيدية:	55
المبحث الثالث: المقاومة المالكية للوجود العبيدي.....	59
أولاً: الإجماع على تكفير بني عبيد.....	59
ثانياً: مواجهة العبيدين وتثبيت العامة للصمود أمامهم.....	59
ثالثاً: المقاطعة الدينية والسياسية للدولة العبيدية.....	60
رابعاً: الوعظ وتعليم المواليين لبني عبيد سرا.....	61
خامساً: المناظرات الفقهية بين فقهاء المالكية والعبيدين.....	62
سادساً: حركة التأليف للرد على العبيدين.....	63
المبحث الرابع: المقاومة السنية للوجود العبيدي بالمغرب الإسلامي (الثورات).....	64
أولاً: المقاومة المسلحة في المغرب الأدنى.....	64
ثانياً: مقاومة قبائل زناتة بالمغرب الأوسط.....	66
ثالثاً: ثورة أبي يزيد الخارجي (صاحب الحمار) ومشاركة سكان الغرب الإسلامي فيها (332هـ) _	
336هـ).....	68
رابعاً: استمرار الصراع بين الإسماعيلية والمالكية.....	69
خامساً: العودة إلى المذهب المالكي السني ومقاطعة الشيعة الإسماعيلية :	70
سادساً: واقع المذهب المالكي بعد سقوط الدولة العبيدية.....	71

الخاتمة: Erreur ! Signet non défini.

الملاحق

المصادر و المراجع

فهرس المحتويات

